

سلسلة مداولات علمية محكمة للقاء السنوي للجمعية - ١٠



جمعية التاريخ والأثار
بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور

مداولات

اللقاء العلمي السنوي العاشر للجمعية
في ضيافة وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع
أبو ظبي- دولة الإمارات العربية المتحدة
(٢٤- ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ / ١ - ٣ مارس ٢٠٠٩ م)

النبي محمد ﷺ واليهود في شمال الحجاز

(٧ - ٥٩ هـ / ٦٢٨ - ٦٣٠ م)

«قراءة نقدية»

أ.د. محمد بن فارس الجميل (★)

المقدمة:

إن موضوع هذا البحث هو التعرف إلى طبيعة العلاقة بين النبي ﷺ واليهود في شمال الحجاز^(١). أما منطقة شمال الحجاز التي ينحصر فيها البحث هنا فهي الجزء الواقع شمال المدينة، أي خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وتبوك وأذرح والجرباء وأيلة ومقنا ومدين. والغاية من ذلك هي محاولة الوصول إلى الأسباب التي دفعت برسول الله ﷺ إلى الزحف نحو المستوطنات الشمالية التي تقطنها بعض الجماعات اليهودية وإخضاعها تحت سلطته.

ولذلك فإن الموضوع بطبيعته ينقسم إلى قسمين، القسم الأول: يناقش العلاقة بين صلح الحديبية وغزوة خيبر، وما نتج عنها من إخضاع فدك ووادي القرى وتيماء.

أما القسم الثاني: فيناقش مدى العلاقة بين غزوة تبوك وما أسفر عنها من اعتراف أيلة وأذرح والجرباء ومقنا ومدين بدولة المسلمين بالمدينة وإقرارها بدفع الجزية لها. حيث أصبح للمسلمين وللمرة الأولى حدوداً متاخمة للإمبراطورية البيزنطية الجاثمة حينذاك على بلاد الشام.

وفي حقيقة الأمر فإن هذه الدراسة الموجزة ليست الأولى في هذا الموضوع بل ربما أن هناك أكثر من دراسة تتعلق بتاريخ الوجود اليهودي في شمال الحجاز في الجاهلية والإسلام. ومن أحدث الدراسات في هذا الباب، حسب علمي، هما: المستوطنات اليهودية على عهد رسول الله ﷺ^(٢). والدراسة الأخرى: الجماعات اليهودية في شمال غرب الجزيرة العربية^(٣).

ولكن على الرغم من الجهد المبذول فيهما إلا أنهما تتصفان بالشمولية. ولم تبحثا العلاقة بين النبي ﷺ، واليهود في شمال الحجاز بحثاً مفصلاً ولم تتحدثا عما آلت إليه تلك العلاقة بين الطرفين. والمأمول من هذه الدراسة أن تقدم إجابة مقنعة عن هذه التساؤلات.

التمهيد:

العلاقة بين صلح الحديبية وغزوة خيبر^(٤):

لقد كان صلح الحديبية في أواخر سنة (٦٢٧هـ/٦٢٧هـ)^(٥). فاتحة عهد جديد لدولة الإسلام بالمدينة، إذ بدأ رسول الله ﷺ دعوته لزعماء العالم في ذلك الوقت إلى الإسلام^(٦)، باعتباره الديانة السماوية الأخيرة، وأن محمداً ﷺ رسول الله إلى العالم كافة، وأن الدين عند الله الإسلام.

والأمر الثاني أو الثمرة الثانية والمباشرة للصلح مع قريش، هي توافر الأجواء الآمنة والمناسبة لتوسيع نفوذ دولة المدينة شمالاً نحو خيبر وما وراءها.

من المعلوم أن يهود خيبر بقيادة بعض زعماء يهود بني النضير الذين تم إجلأؤهم عن المدينة في السنة الرابعة من الهجرة (٦٢٥هـ/٦٢٥م) قد حرصوا على قيام تحالف قبلي كبير هدفه القضاء على دولة الإسلام في المدينة. تكون هذا التحالف من قريش بزعامة سيدها أبي سفيان بن حرب، إضافة إلى قبائل غطفان وسُلَيم وفزارة وأشجع وبني مُرة وغيرهم^(٧). بل يقال إن يهود خيبر قد

شرطوا لغطفان بعض ثمر خيبر وتمرها إن اشتركوا معهم في قتال المسلمين^(٨). وهكذا ففي السنة الخامسة من الهجرة (٥٠هـ/٦٢٦م) فوجئت المدينة بجحافل الأحزاب تحاصرها وتضيق عليها الخناق، حيث جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وبلغت القلوب الحناجر وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً.

هذه المؤامرة الدنيئة التي حبكتها الأحزاب سجلها القرآن الكريم وصورها أبلغ تصوير في سورة عرفت بسورة الأحزاب.

وبعد فشل التحالف القبلي أو الأحزاب كما هو معروف، قال رسول الله ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم»^(٩). وبالفعل فبعد غزوة الأحزاب لم تتعرض مدينة رسول الله ﷺ لغزو أو عدوان خارجي طيلة حياة رسول الله ﷺ.

إن زعماء يهود خيبر الذين حزبوا الأحزاب وجمعوهم على حرب المسلمين عادوا وحلفاؤهم إلى ديارهم يجرون أذيال الفشل والخيبة، ولم يجنوا خيراً. قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ولكن من يضمن عدم معاودة الأحزاب الكرة مرة أخرى، إذ أنهم لن يسكتوا على ما أصابهم من خزي وفشل! ثم إن خيبر التي حرضت الأحزاب وشاركت في العدوان، تقع على الطريق نحو الشام، وهو الطريق الذي تسلكه القوافل التجارية ومنها قوافل المسلمين وهو النافذة الوحيدة نحو الشمال، لذا فإن هذا الطريق بالنسبة للمسلمين بالغ الأهمية؛ فقد أصبح من الضرورة بمكان تأمينه والقضاء على كل العوائق التي من شأنها أن تحول بين المسلمين والشام.

وما من شك في أن صلح الحديبية بين النبي ﷺ وقريش قد جرد يهود خيبر من أهم وأقوى حلفائهم بالحجاز - أي قريش -. لذلك فقد شعر النبي ﷺ

بأنه إزاء هذا الوضع الجديد أصبح طليق اليد في التوجه نحو خيبر للقضاء على خطرهما دون خوف من قريش أن تخالفه على المدينة. إذ جاء في بنود صلح الحديبية بين الطرفين أنهما: «اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض...»^(١٠).

لذلك فقد كان بين أسباب توجه الرسول ﷺ نحو خيبر هو معاقبتهم على تأمرهم ضد المسلمين في غزوة الأحزاب أو ما عرف بغزوة الخندق والأمر الثاني هو القضاء على مركز التآمر المتمثل في خيبر وتحرير طريق التجارة والمواصلات المتجه إلى الشام من أي خطر يشكله يهود خيبر وحلفائهم من القبائل العربية^(١١).

أ - غزوة خيبر:

إذا كانت مصادر السيرة النبوية قد اتفقت على أن غزوة خيبر حدثت في السنة السابعة من الهجرة؛ فإنها قد اختلفت أكانت الغزوة في أول السنة، -أي مباشرة بعد صلح الحديبية- أم أنها حدثت قبل منتصف العام أي في شهر جمادى الأولى من السنة نفسها^(١٢).

لا خلاف إذن أن رسول الله ﷺ سار نحو خيبر في السنة السابعة من الهجرة (٦٢٨هـ/٦٢٨م) على رأس جيش بلغ تعدادهُ ألفاً وأربع مئة رجل تقريباً؛ وهم نفس الرجال الذين خرجوا معه يوم الحديبية^(١٣). وربما انضاف إليهم قليل من أصحاب رسول الله ﷺ، إذ قال ﷺ: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا»^(١٤). وبعد أن اكتمل استعداد المسلمين زحفوا نحو خيبر التي تبعد شمالاً عن المدينة نحواً من (١٦٠) كيلاً تقريباً، وقد استخلف رسول الله ﷺ على المدينة سباع بن عرقطة الغفاري^(١٥).

وأخيراً وصل رسول الله ﷺ إلى خيبر، فلم يفاجأ أهلها إلا جيش المسلمين

يُطل عليهم صباح ذلك اليوم. جاء في رواية عند البخاري «أن النبي ﷺ خرج إلى خيبر فجاءها ليلاً، وكان إذا جاء قوماً بليل لا يغير عليهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: «اللَّهُ أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١٦). وذكر البخاري رواية عن أنس أيضاً يقول فيها: «كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغز حتى يصبح. فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح، فنزلنا خيبر ليلاً»^(١٧).

وجاء في رواية عن سهل بن سعد^(١٨): أن رسول الله ﷺ أعطى الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق لله فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١٩).

وهكذا يتبين من هذه الروايات أن رسول الله ﷺ قد أعذر إلى أهل خيبر قبل أن يبدأهم بالقتال، فهو لم يقاتلهم ليلاً أي وهم غارون، بل انتظر حتى الصبح، وعندما لم يسمع الأذان في قريتهم، تأكد من عدم إسلامهم، فقاتلهم؛ ويظهر أن رسول الله ﷺ قد سبق وأن دعاهم إلى الإسلام قبل التوجه إليهم^(٢٠)، وإلا فكيف يتوقع أن يسمع الأذان عندهم؟ بل إنه في إحدى مراحل الحصار يوصي علي بن أبي طالب وهو يسلمه الراية بأن يعرض على يهود خيبر الإسلام أولاً قبل القتال.

ولكن يبدو أن الدعوة إلى الإسلام لم تلق أذاناً صاغية من لدن اليهود، فشرع بمحاصرة حصونهم الواحد تلو الآخر، وبعد بضعة عشر يوماً من الحصار والمنازلة كانت حصون خيبر قد سقطت جميعها في أيدي المسلمين ومن أشهرها

حصون الشق والنطاوة والسُّلالم والكتيبة.

وكانت حصيلة شهداء المسلمين خمسة عشر شهيداً، أما اليهود فقد قتل منهم قرابة ثلاثة وتسعين رجلاً تقريباً^(٢١).

وقد اختلفت الروايات في تقدير عدد يهود خيبر من المقاتلين فقليل إنهم عشرون ألفاً^(٢٢). وقيل عشرة آلاف^(٢٣). وقيل ألف وأربعمئة مقاتل^(٢٤). ويظهر أن الرقم الأخير لا يخلو من خطأ وقع فيه المؤلف، إذ ربما التبس عليه الأمر بين عدد جيش المسلمين، وعدد المدافعين عن خيبر من اليهود؛ والذي يبدو معقولاً من استقراء الروايات أن يهود خيبر بما فيهم المقاتلون ربما كانوا أقل من عشرة آلاف.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن ابن إسحاق وهو من أقدم من كتب عن غزوة خيبر لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى عدد سكان خيبر من اليهود ولا عن عدد المقاتلين منهم كذلك^(٢٥).

وأخيراً فقد صالح النبي ﷺ أهل خيبر على أن يحقن دماءهم، ولهم ما حملت ركابهم، وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء - أي الذهب والفضة - والحلقة وهو السلاح، وعلى أن يخرجوا من أرضهم^(٢٦).

وجاء عند الواقدي أن رسول الله ﷺ لما صالح أهل الكتيبة، أمّن الرجال والذرية، ودفعوا إليه الأموال والصفراء والبيضاء والحلقة، والثياب، إلا ثوباً على إنسان^(٢٧).

ويبدو أن رواية تجريدهم من الذهب والفضة التي ساقتها بعض المصادر ومن ضمنها الواقدي في مغازيه غير دقيقة. أو في أحسن الأحوال أن مصادرة النقود من يهود خيبر لم تكن شاملة ومحكمة إذ أن الواقدي نفسه يذكر في روايته السابقة. «فلقد كان من اليهود حين أمّتهم رسول الله ﷺ يُقبلون ويدبرون،

ويبيعون ويشترون، لقد أنفقوا عامة المغنم مما يشرون من الثياب والمتاع، وكانوا قد غيبوا نقودهم وعين ما لهم»^(٢٨).

وفي حديث أم عمارة^(٢٩)، عن سقوط حصن الصعب بن معاذ وما عُرض فيه للبيع من المتاع، أشارت إلى أن من يشتري ذلك هم المسلمون واليهود الذين كانوا في حصن الكتيبة فأُمنوا ومن حضر من الأعراب^(٣٠).

أما اليعقوبي، فقد قدم صورة قاتمة وغير دقيقة في تقريره عن فتح خيبر، إذ جاء فيه: «... ثم كانت وقعة خيبر في أول سنة (٧هـ) ففتح حصونهم وهي ستة حصون؛ السُّلالم والنطاة والقصاراة والشق والمريطة والقموص، وفيها عشرون ألف مقاتل ففتحها حصناً حصناً، فقتل المقاتلة وسبى الذرية...»^(٣١).

وكما هو واضح في هذا التقرير الاختلاف في مسميات حصون خيبر من حيث عدم الدقة، وكذلك المبالغة في عدد المقاتلين من اليهود، والقول كذلك أن الرسول ﷺ قتل المقاتلة وسبى الذرية؛ فإن ذلك يوحي للوهلة الأولى أن الرسول ﷺ قد قضى على جميع المقاتلين وهم عشرون ألف وسبى جميع النساء والأطفال! أي بعبارة أخرى أن خيبر قد تعرضت على يدي الرسول ﷺ إلى مذبحة مروعة ذهب ضحيتها الرجال واستعبدت فيها النساء والأطفال. وهذا مغاير لأخبار غزوة خيبر التي سبق وأن ذكر شيء منها.

وقد عمد أحد الدارسين المحدثين وهو القمني إلى لي عنق النص ليقول: «وانطلق السيف الإسلامي يعمل في المستسلمين، ليقتل منهم في قول ابن سعد ثلاثة وتسعين رجلاً من اليهود»^(٣٢).

في الواقع أن هؤلاء الذين ذكرهم القمني، لم يكونوا مستسلمين بل سقطوا في ميادين القتال ضد المسلمين بعد أن أبدى بعضهم بسالة نادرة في الدفاع عن حصونهم. ولم يقل ابن سعد أنهم كانوا أسرى في يد المسلمين كما يزعم

القمني^(٣٣). ولم يقتل رسول الله ﷺ صبراً من يهود خيبر سوى اثنين هما: كنانة بن أبي الحقيق، ورجل آخر من آل أبي الحقيق، وذلك لكذبهما على رسول الله ﷺ وإخفائهما كنز آل أبي الحقيق^(٣٤). ذلك بعد أن حلفا لرسول الله ﷺ أنهما قد أنفقا في الحروب، ووكدا الأيمان واجتهدا، فقال رسول الله ﷺ لهما: «برئت منكما ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكما! قالوا: نعم. ثم قال رسول الله ﷺ وكل ما أخذت من أموالكما وأصبت من دمائكما فهو حل لي ولا ذمة لكما! قالوا: نعم». وأشهد عليهما رسول الله ﷺ بعض كبار الصحابة وعشرة من اليهود^(٣٥). فلما عثر رسول الله ﷺ على الكنز الذي أخفياه أمر بهما فقتلا صبرا^(٣٦). وأضاف ابن سيد الناس أن رسول الله ﷺ سبى نساءهم وذرائعهم وقسم أموالهم للثلاث الذي نكثوا^(٣٧).

أما بن إسحاق فبعد أن ذكر طرفاً من خبر كنز بني النضير -أي بني الحقيق- وكذب كنانة بن أبي الحقيق وإخفائه الكنز، أن رسول الله ﷺ سلمه إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة الذي قُتل غيلة في خيبر، وفي السياق ذاته لم يذكر ابن إسحاق شيئاً عن سبي نساءهم وذرائعهم وقسمة أموالهم^(٣٨). ولكن ذكر أنه لما افتتح رسول الله ﷺ حصن القموص، أي حصن بني أبي الحقيق أتى بصفية بنت حيي بن أخطب، وبأخرى معها، وأن رسول الله ﷺ حاز صفية لنفسه^(٣٩). وكان زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق قد أمر رسول الله ﷺ بقتله جزاء كذبه في أمر الكنز -أي مسك الجمل- الذي سبقت الإشارة إليه^(٤٠).

وقد وردت إشارة عند موسى بن عقبة (ت: ٤١ هـ) تقلل من عدد سبايا خيبر من النساء؛ قال: «وسبى رسول الله ﷺ آل أبي الحقيق بما كانوا أعطوا من أنفسهم، وصفية بمكانها منهم، ولم يُسبَ أحدٌ من أهل خيبر غيرها فيما نعلم»^(٤١).

ولعل ما يلقي ظلالاً من الشك على الرواية السابقة هو ما ذكره ابن إسحاق عن سبايا خيبر إذ قال: «وفشت السبايا من خيبر في المسلمين»^(٤٢). وأضاف قائلاً: «إن رسول الله ﷺ نهى يومئذ عن أربع؛ من بينها النهي عن إتيان الحبالى من السبايا»^(٤٣). وفي الوقت ذاته فإن المصادر المتاحة لا تسمح بإعطاء صورة واضحة عن سبايا خيبر من حيث عددهن وأثمانهن. ويمكن للباحث أن يفترض أن السبي قد وقع على قليل من النساء، بدليل سكوت المصادر عن إعطاء أي تفاصيل. ولا نجد عند الواقدي سوى إشارة لحالة واحدة من السبي^(٤٤) منسوبة لأبي حدرد الأسلمي^(٤٥).

ومجمل القول أن السبي والقتل الذي وقع على يهود خيبر لا يمكن مقارنته بأي حال بما قيل عن القتل والسبي الذي تعرضت له قبيلة بني قريظة اليهودية في المدينة سنة (٥هـ/٦٢٦م)^(٤٦). وهذا على الأقل ما توحى به الروايات عن كلتا الحادتين. وإذا ما تركنا موضوع سبايا خيبر جانباً، فإن يهود خيبر لما سقطت حصونهم وأيقنوا بالهلكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يسيرهم ويحقن دماءهم، فقبل. ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: «نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها»، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، «على إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»^(٤٧). وهذا الصلح يتضمن أن للمسلمين نصف محصول التمر والحبوب كل عام وللإهود نصفها الآخر لقاء قيامهم بالعمل فيها.

وقد أصاب أحد الباحثين المحدثين في تقييمه لغزوة خيبر والنتائج التي أسفرت عنها إذ قال: «كان لانتصار المسلمين في خيبر أهمية خاصة، فقد ترتب عليه أن أصبح لدولتهم الناشئة أراض مملوكة خارج المدينة، يجبون منها الخراج. كما أدى إلى وجود جماعة من اليهود يشملها السلطان السياسي للدولة

الإسلامية. وهكذا وجد بتلك الدولة لأول مرة أهل ذمة. وقد سُمح لهؤلاء الذميين بأن يظلوا على دينهم، ويستغلوا أراضيهم وفق الشروط التي تؤخذ عليهم^(٤٨). على كل، بعد فتح خيبر وإبرام الاتفاق مع أهلها غادرها رسول الله ﷺ بعد أن تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب^(٤٩) أحد زعماء يهود بني النضير الذين استقروا في خيبر بعد إجلائهم من المدينة في السنة (٤٤/هـ - ٦٢٥م)^(٥٠). وليس من المستبعد أن زواج الرسول ﷺ من صفية كان محاولة صادقة منه لتطبيب خواطر يهود خيبر والرفع من معنوياتهم بعد الهزيمة التي حاقت بهم، إذ أصبحوا منذ الآن أصهار رسول الله ﷺ، كما أصبحت ابنتهم إحدى أمهات المؤمنين^(٥١).

وقد ربط بعض المستشرقين بين صلح الحديبية (٦٢٧/هـ - ٦٢٧م)، وغزوة خيبر (٦٢٨/هـ - ٦٢٨م)، فبعضهم جعل من صلح الحديبية وكأنه غاية في حد ذاتها ليتفرغ الرسول ﷺ لغزو خيبر، وبمعنى آخر أن النبي ﷺ ذهب إلى الحديبية قريباً من مكة ليبرم صلحه مع قريش من أجل المواجهة مع اليهود في خيبر. ومن هؤلاء على سبيل المثال: إسرائيل ولفنسون إذ قال: «ولكي يتمكن الرسول من محاربة أهل خيبر دون أن يكون عرضة لخطر من جهة أخرى، فقد توجه إلى مكة في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة وتصالح مع قريش»^(٥٢). ومن اللافت للنظر أن محمد حميد الله عندما تطرق إلى صلح الحديبية قال: أن رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية أصبح طليق اليدين مع الخطر المتنامي في خيبر، حيث إن المكين في ذلك الصلح قد وافقوا على أن يقفوا على الحياد في حالة هجوم المسلمين على طرف ثالث كخيبر مثلاً^(٥٣).

وفي واقع الأمر، فإن نص صلح الحديبية في مختلف المصادر لم يتعرض لا من قريب ولا من بعيد لأمر خيبر، وليس في نصوصه ما يتضمن أن تقف قريش

على الحياد في حالة هجوم المسلمين على طرف ثالث.

أما الفريق الثاني من المستشرقين، فقد خلطوا إما عن جهل، أو عن عمد بين الصلح والغزوة ومن هؤلاء مثلاً: مكسيم رودنسون M. Rodinson، إذ قال في حديثه عن أسباب غزوة خيبر «... وأكثر من ذلك كان من الضروري بالنسبة لمحمد أن يبحث عن متنفس لطاقة المسلمين الذين حرموا من غنائم الحديبية (بأن يتوجه بهم نحو خيبر)، حيث إن خيبراً تشتهر بثروتها الزراعية مثلها مثل المدينة...»^(٥٤).

ومنتغمري واط M. Watt، مثله مثل رودنسون، فهو عندما تحدث عن غزوة خيبر، جعل أحد أسبابها فشل [كذا] النبي ﷺ في حملة الحديبية [صلح]، ورغبته في تعويض أصحابها عنها بغنائم خيبر الذين أصيبت آمالهم بالفشل في الحديبية^(٥٥). وهو قول يفقر للمنطق، فإنه من المعلوم أن الحديبية لم تكن غزوة، بل مكاناً للصلح بين النبي ﷺ وقريش عندما اعترضتهم في الحديبية قرب مكة، ومنعتهم من أداء العمرة أبرم الصلح بين الطرفين الذي استمرت المفاوضات بشأنه أكثر من عشرين يوماً.

كذلك فقد نظر كارل بروكلمان C. Brocklmann إلى ما حدث في الحديبية على أنه فشل، حيث قال: «... وفي سنة ٦٢٨م حاول النبي أن يعوض عن فشله الظاهري في الحديبية، فقاد المسلمين في حملة على المستعمرة اليهودية الغنية في خيبر...»^(٥٦).

على كل، بغض النظر عن رأي بروكلمان، فإن الذي يجب التأكيد عليه هنا هو أنه لا يوجد في حقيقة الأمر شيء اسمه غزوة الحديبية، لأنه لم يحدث في الحديبية غزوة على الإطلاق^(٥٧)، وأن النبي ﷺ عندما ذهب إلى مكة في أواخر السنة السادسة للهجرة ذهب معتمراً، ولما اعترضت قريش سبيله كان الصلح بين

الطرفين في مكان يعرف بالحديبية. فأين الفشل الذي أشار إليه بروكلمان؟ بل على النقيض من ذلك، فإن صلح الحديبية يعد نصراً مؤزراً للمسلمين^(٥٨). وقد أشار إليه القرآن الكريم بالفتح المبين، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢]^(٥٩). وبالعودة إلى غزوة خيبر والهدف منها، فقد أشار إلى ذلك إسرائيل ولفنسون بالقول: «... لما كان الغرض الذي يرمي إليه الرسول إنما هو جمع العرب على دين واحد وتأليف كتلة متحدة منهم، فكان عليه في هذه الحال أن يقضي على يهود خيبر، حتى لا يكونوا حجر عثرة في سبيل تحقيق ذلك الغرض»^(٦٠). وفعلًا فقد تحقق ذلك الغرض، أو الهدف، ولكن الرسول ﷺ لم يقض على يهود خيبر، بل جردهم من قوتهم التي كانوا من خلالها مصدر خطر يهدد السلم في منطقة الحجاز.

ومما لا شك فيه أنه بعد القضاء على الخطر اليهودي الذي كان ماثلاً في خيبر أصبح الطريق أمام الدعوة إلى الله وتوحيد شمال الحجاز تحت راية الإسلام مفتوحاً. لذلك كان لابد من إخضاع بقية المستوطنات الواقعة شمال خيبر مثل فدك ووادي القرى وتيماء، حيث كانت تمثل خطراً وشيكاً على إنجاز المسلمين في خيبر، لابد من التعامل معه بما يتناسب مع خطورته، وقد كانت فدك القريبة من خيبر أولى المستوطنات التي تعامل معها الرسول ﷺ.

١- فدك:

قرية تقع شرق خيبر على وادي يذهب سيله شرقاً إلى وادي الرمة تعرف اليوم بالحائط^(٦١). وحسب ما جاء عند الحميري فإن أهل فدك قد صالحوا النبي ﷺ على النصف من ثمارها في سنة ٦هـ وكانت له خالصة^(٦٢).

ويظهر من بعض الروايات أن ما جاء عند الحميري لم يكن دقيقاً، فربما أنه خلط بين أحداث السنة السابعة للهجرة والسنة السادسة، فقد جاء عند

الواقدي، قالوا: «لما أقبل رسول الله ﷺ إلى خيبر فدنا منها بعث مُحَيِّصَة بن مسعود^(٦٣) إلى فذك يدعوهم إلى الإسلام ... قال مُحَيِّصَة: فأقبل معي رجل منهم يقال له نون بن يوشع في نفر من اليهود صالحوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الأموال، ففعل؛ ويقال عرضوا على النبي ﷺ أن يخرجوا من بلادهم ولا يكون للنبي ﷺ شيء وإذا كان جذاذها جاؤوا فجدوها، فأبى النبي ﷺ أن يقبل ذلك منهم ... فوقع الصلح بينهم أن لهم نصف الأرض بتربتها ولرسول الله ﷺ نصفها فقبل ذلك منهم»^(٦٤). وأصبحت فذك فيئاً خالصاً لرسول الله ﷺ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

ولكن يظهر أن بني مُرة الذين كانوا يعيشون في فذك جنباً إلى جنب مع اليهود قد أظهروا شيئاً من العداوة تجاه المدينة أو ربما صدر منهم ما ينبئ عن ذلك، فبعث لهم رسول الله ﷺ في شعبان سنة ٧هـ أي بعد فتح خيبر، بشير بن سعد^(٦٥) على رأس سرية تعدادها ثلاثون رجلاً، ولكن المريين هزموهم، حتى أن أمير السرية بشير بن سعد أصيب بجراح كثيرة حتى ظن أصحابه أن قد مات.. لكن تحامل على جراحه إلى فذك وأقام عند يهودي بها أياماً ثم رجع إلى المدينة^(٦٦).

وبعد ستة أشهر من هذه النكسة التي أصيبت بها سرية بشير بعث رسول الله ﷺ حسب رواية الواقدي - غالب بن عبد الله الليثي^(٦٧) للنثار لمصاب بشير وأصحابه في فذك وذلك في صفر سنة ٨هـ / ٦٢٩هـ وأوصاه رسول الله ﷺ قائلاً: «فإن أظفرك الله بهم فلا تُبق بهم»^(٦٨). أي لا تبقيهم على أحد. والمحصلة النهائية لهذه الحملة التأديبية هي بعض القتل من بني مرة إضافة إلى مصادرة بعض الإبل والماشية، والرواية في الوقت نفسه لم تذكر شيئاً عن خسائر المسلمين.

على كل، فإنه ليس من المستبعد أن يكون حدث لبس في أمر هذه السرية وأخرى حدثت في السنة نفسها والشهر نفسه أي صفر وأمير السرية هو غالب بن عبد الله الليثي إذ انتدبه رسول الله ﷺ إلى الكديد^(٦٩).

والسؤال هنا هل من الممكن أن ينتدب غالب في مهمتين في شهر واحد؟ أليس هناك من يقوم مقامه من أصحاب رسول الله ﷺ؟ سيما وأن رسول الله ﷺ سبق وأن رشح الزبير بن العوام لسرية فذك، ولكن بعد أن عاد غالب من مهمة الكديد مظفراً، قال رسول الله ﷺ للزبير: «اجلس» وبعث غالباً بدلاً عنه^(٧٠). يظهر أن الأمر لا يخلو من إشكال. خلاصة القول أن يهود فذك ظلوا على الوفاء لعهدهم مع رسول الله ﷺ حتى خلافة عمر بن الخطاب الذي قام بحملة إجلاء شبه كاملة ليهود خيبر وفذك^(٧١).

٢ - وادي القرى:

«وادي القرى، يعرف اليوم بوادي العلا: مدينة عامرة شمال المدينة على قرابة (٣٥٠) كيلاً، كثير المياه والزرع والأهل ... وقد قامت فيه -أي الوادي- مدينة العلا مكان «قُرح» وكانت سوقاً من أسواق العرب»^(٧٢).

وفي حديث البكري، عن وادي القرى قبل الإسلام، قال: «وكان أهل وادي القرى وما والاها اليهود يومئذ، كانوا نزلوها ... فاستخرجوا كضائهم وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها وجنانها، فعقدوا بينهم حلفاً وعقداً [أي بين اليهود وقبائل سعد هُذيم -قضاة] وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل في كل عام، ومنعوها لهم من العرب ...»^(٧٣).

ويظهر أن أمر وادي القرى ظل على تلك الحال حتى كانت غزوة خيبر، إذ بعد أن وقعت خيبر بيد المسلمين وتلتها فذك، كان لا بد من استكمال السيطرة على بقية المستوطنات الشمالية، فكان وادي القرى هو الهدف التالي إذ جاء عند

ابن إسحاق قوله: «فلما فرغ رسول الله ﷺ من أمر خيبر، انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي ثم انصرف راجعاً إلى المدينة»^(٧٤).

وكما هو ظاهر فإن رواية ابن إسحاق في غاية الغموض والاختصار ولا تتبئ عن شيء ذي أهمية بخصوص استيلاء النبي ﷺ على وادي القرى! وعلى النقيض من ذلك فإن الواقدي قدم بهذا الخصوص معلومات أكثر أهمية وتفصيلاً، فقد جاء لديه عن الاستيلاء على وادي القرى، أن رسول الله ﷺ أقام بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك النخل والأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها، على نحو ما عامل أهل خيبر^(٧٥).

ويظهر من إحدى الروايات أن رسول الله ﷺ أصبح على علاقة طيبة مع بعض الأسر اليهودية في وادي القرى، ففي طريقه لمواجهة الروم في السنة التاسعة من الهجرة مر على وادي القرى فأهدى له بنو عريض اليهودي هريساً، فأكلها رسول الله ﷺ وأطعمهم أربعين وسقاً فهي جارية عليهم^(٧٦).

ونقل ابن سعد نسخة عن الكتاب الذي تضمن طعمة رسول الله ﷺ لبني عريض، جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني [عريض]، طعمة من رسول الله عشرة أوسق قمحاً، وعشرة أوسق شعيراً في كل حصاد، وخمسين وسقاً تمرّاً، يوفون في كل عام لحينه لا يظلمون شيئاً»^(٧٧). ومن الكتاب يتبين أن الطعمة لم تكن فقط أربعين وسقاً كما ذكر الواقدي وقد علقت إحدى نساء اليهود على طعمة رسول الله ﷺ لبني عريض بقولها: «هذا الذي صنع بهم محمد خير مما ورثوه من آبائهم؛ لأن هذا لا يزال جارياً عليهم إلى يوم القيامة»^(٧٨).

وقد بقي اليهود في وادي القرى حتى بعد إجلاء يهود خيبر وفدك في عهد عمر بن الخطاب، لأن وادي القرى خارج عن الحجاز كما قيل^(٧٩)!

ويتحدث المقدسي في القرن الرابع الهجري، عن وادي القرى، فيقول: «ناحية قُرح: تسمى وادي القرى، وليس بالحجاز اليوم بلدٌ أجل وأعمر وأهل وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكة من هذا ... والغالب عليها اليهود ...»^(٨٠). ونتيجة لإخضاع الرسول ﷺ خيبر ثم فذك وأخيراً وادي القرى، فإنه لم يبق أمامه في ذلك النطاق الجغرافي سوى تيماء، التي اختلفت المصادر في وقت خضوعها لدولة المدينة.

٣ - تيماء:

تيماء بالفتح والمد: بُليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق. والأبلى الفرد حصن السموأل بن عادي مشرف عليها، فلذلك كان يقال لها تيماء اليهودي^(٨١). وتيماء اليوم مدينة مزدهرة تقع على الطريق الدولي الواصل بين المدينة والشام مروراً بتبوك.

وجاء في بعض المصادر المتقدمة، أنه لما بلغ يهود تيماء، ما وطئ به رسول الله ﷺ خيبر وفذك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم^(٨٢).

ويضيف المسعودي، أن أهل تيماء كانوا أعداءً لرسول الله ﷺ، ورؤساؤهم آل السموأل بن عادي، فلما بلغهم ما نزل بأهل وادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على أداء الجزية، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة^(٨٣). وجاء عند ابن الأثير أن رسول الله ﷺ كتب ليهود تيماء: «أن لهم الذمة وعليهم الجزية بلا عداء ...»^(٨٤). والإشكال الذي يحيط بهذا العهد أنه لا يبين متى كانت كتابته! وعلى كل، يلاحظ أن اثنتين من الروايات التي ذكرت أعلاه قد ربطتا بين إخضاع وادي القرى وصلح تيماء، أي أن تيماء أصبحت خاضعة لسلطة دولة المدينة اعتباراً من السنة السابعة للهجرة؛ بينما الرواية الثالثة اكتفت بذكر نص العهد الذي

أعطاه رسول الله ﷺ لليهود تيماء دون الإشارة إلى وقت كتابته! أي هل كُتب في السنة السابعة أم بعدها؟ وعلى النقيض من ذلك؛ فإن بعض المصادر قد ربطت بصورة مباشرة بين غزوة تبوك وصلاح تيماء! فقد جاء عند موسى بن عقبة (ت: ١٤١هـ) أن أكيدر ويحنة، اجتمعا عند رسول الله ﷺ فدعاهما إلى الإسلام فأبيا، «فأقرا بالجزية، فقاضاهما رسول الله ﷺ قضية دومة، وعلى تبوك وعلى أيلة، وعلى تيماء، وكتب لهما كتاباً»^(٨٥).

ولدى البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) رواية قريبة الشبه بالرواية السابقة لكن دون الإشارة إلى تيماء، جاء فيها: وأقبل خالد بن الوليد ﷺ بأكيدر إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه يحنة بن روبة عظيم أيلة، فقدموا على رسول الله ﷺ وقاضاهما على قضية دومة وعلى تبوك وعلى أيلة، وكتب لهما كتاباً^(٨٦).

أما ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) فجاء لديه: «ولما بلغ أهل تيماء في سنة (٩هـ / ٦٣٠م) وطء النبي ﷺ وادي القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم»^(٨٧).

يظهر من التدقيق في مضمون هذه الروايات الثلاث الأخيرة؛ أن الروايتين الأخيرتين منهما. أي رواية - البيهقي وياقوت - هما روايتان معدلتان عن رواية موسى بن عقبة، بمعنى أن أساسهما رواية موسى بن عقبة. ولا تخلوا كل من رواية ابن عقبة والبيهقي من الاضطراب وتصحيف بعض الأسماء وتداخل بعض الأحداث فيهما. لكن الرابط الوحيد بين الروايات الثلاث مجتمعة، هو إجماعها على أن تيماء ظلت في عزلة عن أحداث السنة السابعة من الهجرة ولم تتأثر بها وأنها لم تدخل تحت سلطة دولة النبي ﷺ بالمدينة إلا في أواخر السنة التاسعة من الهجرة، وكأن ذلك جاء نتيجة لغزوة تبوك؛ وهذا أمر لا يخلو من إشكال.

والاحتمال الأقوى أن تيماء قد دخلت تحت سلطة المدينة في السنة السابعة للهجرة أي نتيجة لإخضاع خيبر وفدك ووادي القرى، فقد حذت تيماء حذو تلك البلدان وأعلنت صلحها مع النبي ﷺ، وهذا ما تشير إليه بعض المصادر الموثوقة^(٨٨).

ويبقى أمر الجزية التي فرضت عليها مثاراً للتساؤل؟ حيث أنه لا جدال في أن تشريع الجزية قد جاء في السنة التاسعة من الهجرة أي في أثناء غزوة تبوك^(٨٩).

لذلك فإن مسألة خضوع تيماء وإقرارها بالجزية في السنة السابعة يدعو للشك. إذ كيف تُقَرَّ تيماء للمسلمين بالجزية على حين أنه لم يرد في صلح خيبر وفدك ووادي القرى أي إشارة للجزية، حيث اقتصر الأمر على مشاطرة المسلمين لأهل هذه البلدان نصف الثمرة. فلماذا اختصت تيماء بالجزية دون غيرها؟ وإذا كان أمر جزية تيماء صحيحاً وأنه لم يكن هناك لبس في الروايات، فالاحتمال الوحيد هنا ربما أن دخول تيماء في الصلح كان متأخراً عن السنة السابعة للهجرة، ولعله في أثناء غزوة تبوك أو بعدها بقليل حيث كان تشريع الجزية. ولكن لعل ما يقلل من قيمة هذا الاحتمال هو أن ابن إسحاق الذي قدم تفاصيل دقيقة عن غزوتي خيبر وتبوك لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى تيماء وما قيل عن الجزية المفروضة عليها.

لذلك فلفل أقرب الاحتمالات أن تيماء دخلت في صلح خيبر وفدك ووادي القرى في السنة السابعة للهجرة ولم تفرض عليها جزية، بل شملها صلح خيبر وما جاورها من البلدان حيث إن الجزية كما سبقت الإشارة كانت في غزوة تبوك أي في السنة التاسعة.

وجملة القول أن إستيلاء المسلمين على خيبر وما نتج عنه من خضوع كل من

فدك ووادي القرى وأخيراً تيماء قد أسفر عن دخول نصف شمال الحجاز تقريباً تحت سلطة دولة الرسول ﷺ في المدينة.

وبعد سنتين من هذا الإنجاز كان التحرك الأخير نحو الشمال لمواجهة الروم، في السنة التاسعة من الهجرة وما تحقق جراء ذلك من السيطرة التامة على شمال الحجاز بكاملة وبذلك امتدت سلطة دولة الرسول ﷺ إلى تخوم الإمبراطورية البيزنطية كما سيتبين في الصفحات التالية.

ب- غزوة تبوك أو غزوة العُسرة:

تبوك: موضع بين وادي القرى والشام وقال أبو زيد: تبوك بين الحِجْر وأول الشام على أربع مراحل من الحِجْر ... وهو حصن به عين ونخل وحائط^(٩٠).
وتبوك اليوم مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسة، وهي تبعد عن المدينة شمالاً نحو (٧٧٨) كيلاً على طريق معبدة تمر بخيبر وتيماء ..^(٩١).

وتجمع المصادر التاريخية أن غزوة تبوك وقعت في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة (٩هـ / ٦٣٠م)^(٩٢)، وعرفت هذه الغزوة بغزوة العُسرة^(٩٣). وقد أشار القرآن الكريم إلى العُسرة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة ١١٧) أي كان المسلمون في ضيق وشدة وعسر في النفقة والظهر والزاد والماء^(٩٤).

وغزوة تبوك من الغزوات المشهورة التي نزل فيها قرآن، حيث نزلت بشأنها سورة التوبة، التي أشادت بمواقف المسلمين في تلك الساعة العصيبة وفضحت مواقف المتشككين من المنافقين وتخذيلهم للمسلمين. لذلك عرفت سورة التوبة بالفاضحة، لأنها فضحت المنافقين^(٩٥).

وينقل لنا ابن إسحاق صورة عن الجو العام بالمدينة الذي أحاط بغزوة تبوك قائلاً: «إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من

عُسرة الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد؛ وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه؛ وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشُّقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهيبته، فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم»^(٩٦).

لذلك فإنه لما وصل إلى تبوك وأقام بها نحوًا من عشرين يومًا ولم يجد ما يشير إلى خطر الروم الوشيك على دولته. وأن الخبر الذي جاءه عن تحرك الروم نحو أدنى الشام كان خبرًا باطلاً، وأن هرقل لم يُرد ذلك ولم يهم به^(٩٧). شاور النبي ﷺ أصحابه في التقدم نحو الشام. فقال عمر بن الخطاب: «إن كنت أمرت بالمسير فسر!» فقال ﷺ: «لو أمرت به ما استشرتكم فيه»^(٩٨).

ومجمل القول في سبب غزوة تبوك أنها ربما تعود إلى الشائعات التي أشاعها التجار الأنباط بين الناس في المدينة وهي أن الروم يستعدون لغزو بلاد المسلمين. ويظهر أن الأنباط قد كُلفوا بنقل هذه الأخبار الكاذبة لزعزعة أمن المسلمين وإثارة الرعب في نفوسهم. ويعلق الواقدي على ذلك بالقول: «أي ربما أن الروم أوعزوا للأنباط بنقل هذه الأخبار الكاذبة».

وتبقى المعلومات عن تبوك شحيحة للغاية، وليس لدينا شيء مؤكد سوى مسمى تبوك، فهو حسب بعض المصادر الموثوقة مسمى قديم لا علاقة له بغزوة العُسرة. إذ جاء عند الإمام مالك بسنده عن معاذ بن جبل في حديثه عن غزوة تبوك أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله، عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار...»^(٩٩).

أما الاتصال المباشر بين النبي ﷺ وأهل تبوك فليست لدينا عنه فكرة

واضحة، سوى ما جاء عند البلاذري من أن النبي ﷺ فرض الجزية على أهل تبوك^(١٠٠).

وإن كانت هذه المعلومة دقيقة فهي لا تفيد بشيء واضح عن ديانة أولئك القوم؟ ومما يلف خبر البلاذري بالغموض والشك، هو أن نصوص مصالحة النبي لأهل بلدان شمال الحجاز قد وصلت إلينا كاملة تقريباً ما عدا تبوك!! ولا يتوافر للبحث معلومات يمكن الاطمئنان لها بخصوص أصل سكان تبوك، وعلى الرغم من ذلك فليس من المستبعد أن تكون بعض بطون قضاة، أحد عناصر السكان الرئيسة^(١٠١).

ومما هو جدير بالاهتمام أن غزوة تبوك لم تكن دون نتائج ملموسة، إذ أنها حققت نتائج في غاية الأهمية ولم تكن بالحسبان في أول الأمر. إذ أن عدداً من مستوطنات شمال الحجاز قد اعترفت بدولة النبي ﷺ بالمدينة وانضوت تحت لوائها ويأتي على رأس تلك المستوطنات أيلة.

١ - أيلة: «مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام؛ وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام ... وهي مدينة لليهود وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ﷺ»^(١٠٢).

وقد اختلف في موضعها الآن؛ فقد قيل أنها العقبة أي مدينة العقبة الأردنية الواقعة على طرف الخليج المعروف بخليج العقبة المتفرع من بحر القلزم^(١٠٣). ولكن جاء في أحد المصادر المتقدمة أن اسمها وَيْلَة: «وهي مدينة على طرف شعبة بحر الصين عامرة جليلة ذات نخيل وأسماء، فرضة فلسطين وخزانة الحجاز، والعامية يسمونها أيلة، وأيلة قد خربت على قرب منها ...»^(١٠٤). وربما أن أصح الأقوال، أن خليج العقبة، عرف بخليج (أيلة) وبـ (خليج الأيلانيين في الكتب الكلاسيكية)، نسبة إلى مدينة (أيلة) المسماة (ايلات) (Elath) و (أيلوث)

(Elloth) عند العبرانيين^(١٠٥). وهكذا ربما أن إيلات الواقعة في فلسطين تحت حكم اليهود وليست مدينة العقبة الأردنية، هي التي تشير إليها الروايات، ويظهر أن أول اتصال جرى بين النبي ﷺ وأهل أيلة كان في غزوة تبوك، إذ جاء عند ابن إسحاق، أنه «لما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحنة بن ربيعة، صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية...»^(١٠٦). أما الواقدي، فقد جاء لديه أن يُحنة بن ربيعة ملك أيلة، قدم على النبي ﷺ بتبوك ومعه أهل جرباء وأذرح، فأتوه فصالحهم، فقطع عليهم الجزية، جزية معلومة، ووضع على أهل أيلة ثلاثمائة دينار كل سنة، وكانوا ثلاثمائة رجل^(١٠٧). وذكر المسعودي أن يُحنة بن ربيعة صاحب أيلة، كان أسقفًا، وليس ملكًا، وأنه صالح رسول الله ﷺ، على كل حال دينارًا في السنة^(١٠٨).

وجاء في مصدر آخر أن رسول الله ﷺ صالح يُحنة وكساه بردًا يمانيًا وأمر له بمنزل عند بلال^(١٠٩). وذكر البخاري في صحيحه أن يُحنة ملك أيلة أهدى للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وأن رسول الله ﷺ كساه بردًا، وكتب له ببحرهم^(١١٠). ويظهر من رواية ذكرها ابن سعد، أن يُحنة لم يأت إلى النبي ﷺ ويصالحه إلا بعد أن جاءه كتاب من رسول الله ﷺ شديد اللهجة يدعو فيه إلى الإسلام أو الجزية^(١١١).

إن الروايات التي سبق عرضها تختلف فيما بينها بخصوص صاحب أيلة أملكًا هو أم أسقفًا. ولكنها في الوقت نفسه تجمع على أنه سيد أيلة ويبدو كذلك من إحدى الروايات أنه نصراني وليس يهوديًا فقد قال شاهد عيان في وصفه لمقابلة يُحنة لرسول الله ﷺ قال: «رأيت يُحنة بن ربيعة يوم أتى به إلى النبي ﷺ، عليه صليب من ذهب، وهو معقود الناصية...»^(١١٢).

ومهما كان الأمر فإذا كان يُحنة بن ربيعة سيد أيلة نصرانيًا، فإن ذلك لا يمنع

أن يعيش في مدينته جالية يهودية كما مرّ سابقاً^(١١٣).

وهكذا فقد أصبحت أيلة اعتباراً من السنة التاسعة للهجرة إحدى مستوطنات شمال الحجاز الخاضعة لسلطة دولة الرسول ﷺ بالمدينة. وربما أن خضوعها لسلطة دولة المدينة شجع غيرها من المستوطنات المجاورة لها باتخاذ الموقف نفسه مثل: أذرح والجرباء ومقنا، التي ستكون محور المناقشة التالية.

٢ - أذرح والجرباء:

«أذرح، اسم بلد في أطراف الشام، من أعمال الشراة في نواحي البلقاء ... وقيل: بين أذرح والجرباء ميل واحد وأقل لأن الواقف في هذه ينظر هذه»^(١١٤). وحديثاً؛ فإن أذرح والجرباء قريتان في المملكة الأردنية تقعان شمال غرب معان على قرابة (٢٢ كيلاً)، ومن قال بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام فهو خطأ ولعله ثلاثة أميال، وهو الصواب إلى حد ما^(١١٥).

وتحديد المسافة بين القريتين أذرح والجرباء بقريب من ثلاثة أميال يقطع النزاع لدى بعض المتقدمين من المحدثين إذ جاء عند مسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيته كما بين جرباء وأذرح» قال عبيد الله فسألته، فقال: قريتين بالشام بينهما ثلاث ليال، وفي حديث بشر: ثلاثة أيام. وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرح. فيه أباريق كنجوم السماء ...»^(١١٦).

وقد علق العسقلاني على ما قيل عن المسافة بين جرباء وأذرح بأنها مسيرة ثلاثة أيام، فقال: بينهما غلوة سهم، وهما معروفتان بين القدس والكرك، وقال وثبت القدر المحذوف عند الدارقطني وغيره بلفظ: «ما بين المدينة وجرباء وأذرح ...»^(١١٧).

ولعل أول اتصال جرى بين النبي ﷺ وأهل أذرح والجرباء كان في سياق

غزوة تبوك أي في السنة التاسعة من الهجرة، فقد جاء عند ابن إسحاق قوله: «وأتاه أهل جرباء وأذرح وأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً فهو عندهم»^(١١٨).

وجاء عند الواقدي نص الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لأهل جرباء وأذرح، مبيناً فيه مقدار الجزية التي يتوجب عليهم دفعها: «من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم»^(١١٩).

وفي رواية أخرى للواقدي قال فيها: «نسخت كتاب أذرح وإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي ﷺ لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين، ومن لجأ (إليهم) من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين، وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه»^(١٢٠).

يلاحظ أن الكتابين اللذين ذكرهما الواقدي بخصوص أهل أذرح والجرباء لم ترد فيهما الإشارة لأهل الجرباء وإنما جاء التأكيد فيهما على أهل أذرح! ولكن ابن كثير نقل عن ابن إسحاق نص كتاب يقال أن رسول الله ﷺ كتبه لأهل جرباء وأذرح جاء فيه التأكيد على أهل جرباء: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لأهل جرباء وأذرح، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأنه عليهم مائة دينار في كل رجب، ومائة أوقية طيبة، وأن الله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين»^(١٢١).

وبمقارنة هذا الكتاب الأخير مع الكتابين اللذين أوردهما الواقدي وسبقت الإشارة إليهما هنا يتبين أنه ليس بين هذه الكتب الثلاثة أي اختلاف جوهري،

اللهم إلا أن الكتاب الأخير أي الذي ذكره ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق جاء متضمناً النص على أهل جرباء وزاد على ذلك الإشارة إلى مئة أوقية. ولم يتبين من الكتاب ما ماهية تلك المئة أوقية؟

ولعل ما جعل الأمر أكثر التباساً بهذا الخصوص ما ذكره ابن الأثير عن صلح النبي ﷺ لأهل أذرح والجرباء إذ قال: وصالح أهل أذرح على مئة دينار وصالح أهل جرباء على الجزية^(١٢٢).

والسؤال هنا لماذا كان الصلح مع أهل أذرح على مئة دينار بينما كان الصلح مع أهل جرباء على الجزية؟ أليس المئة دينار المفروضة على أهل أذرح هي جزية؟ وإذا كان الأمر ليس كذلك فما مقدار الجزية على أهل جرباء؟

وما دام أن أهل جرباء وأذرح يهوداً^(١٢٣) فما بال التفرقة بينهما في الجزية؟ ولعل ما يساعد على إزالة هذا اللبس هو ما نقله ابن سعد عن الواقدي أن رسول الله ﷺ كتب لأهل جرباء وأذرح: ”هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرباء وأذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مئة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم“^(١٢٤).

لذلك يتبين أنه ربما حدث تصحيف لكلمة «وافية» فأصبحت أوقية وليس من المستبعد أن النص الأخير لكتاب رسول الله ﷺ لأهل أذرح والجرباء هو الأساس وأنه من جراء اختلاف الرواة حصل شيء من اللبس. ويستنتج من فحوى الكتاب الأخير الذي ذكره ابن سعد هو أن أهل أذرح والجرباء شملهم كتاب واحد فيه الصلح معهم وأن الجزية عليهم مقدرة بمائة دينار. وهذا ربما يعني أنهم كانوا بمجملهم مئة رجل على كل واحد منهم دينار واحد في السنة، كما ظهر ذلك جلياً عند الحديث عن الجزية المفروضة على أهل أيلة.

هي قرب أيلة صالحهم النبي ﷺ على ربع عروكهم .. وعلى أن يعجل منهم ربع كراعهم وخلفتهم. وقال الواقدي: صالحهم على عروكهم - والعروك ألواح يركبونها في البحر - وربع ثمارهم، وكانوا يهوداً^(١٢٥). وفي رواية أخرى للواقدي أنهم يهود وأنهم على ساحل البحر^(١٢٦).

وقال موسل: «مكنا، Makna هي واحة مقنا المعروفة حالياً بهذا الاسم وتقع على ساحل الخليج المعروف باسم العقبة...»^(١٢٧).

لا نعلم شيئاً عن اتصال رسول الله ﷺ بأهل مقنا إلا عن طريق رواية ابن سعد، إذ قال: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى مدينة مقنا فأصابوا منهم سبايا، منهم ضُميرة مولى علي بن أبي طالب فأمر رسول الله ﷺ ببيعهم وهم إخوة فخرج إليهم وهم يبيكون، فقال: «ما لهم يبيكون؟» فقالوا: فرقنا بينهم. قال: «لا تفرقوا بينهم ببيعوهم جميعاً»^(١٢٨). والرواية هنا لا تذكر شيئاً عن أمر تلك السرية ومتى كانت؟ ولماذا؟ ولكن جاء في رواية الواقدي قصة طويلة ورد فيها: «أن عُبيد بن ياسر بن نَمير أحد سعد الله ورجل من جذام أحد بني وائل، قدما على رسول الله ﷺ بنبوك فأسلما وأعطاهما رسول الله ﷺ ربع مقنا مما يخرج من البحر ومن الثمر ومن نخلها ومن الثمر وربع المغزل وكان عُبيد بن ياسر فارساً وكان الجذامي راجلاً، فأعطى رسول الله ﷺ فرس عُبيد بن ياسر مئة ظفيرة، والظفيرة: الحلة فلم يزل يجري ذلك على بني سعد وبني وائل إلى يوم الناس هذا...»^(١٢٩).

هذه الرواية الأخيرة تبين بوضوح أن رسول الله ﷺ التقى ببعض الرجال من أهل مقنا في السنة التاسعة للهجرة وأنه أعطاهم ربع مقنا مما يخرج من الثمر ومن البحر وربع المغزل أي «النسيج»!

وإذا كان الأمر كذلك فما القول في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لأهل مقنا: «أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم ربع غزولهم وربع تجارتهم»^(١٣٠). فكيف التوفيق بين ما أعطاه رسول الله ﷺ لعُبَيْد بن ياسر بن نمير وما فرض رسول الله ﷺ عليهم؟

ولدى ابن سعد رواية أخرى يظهر فيها التمييز بين يهود مقنا وأهل مقنا! قال: «قالوا: وكتب رسول الله ﷺ إلى بني جنبة وهم يهود بمقنا وإلى أهل مقنا...»^(١٣١).

وفي كتاب رسول الله ﷺ لأهل مقنا تفاصيل لبعض ما فرضه ﷺ عليهم تختلف في كثير منها عما سبق وأن فرضه على بعض البلدان مثل خيبر وفدك أو وادي القرى، قال: «فإن لرسول الله ﷺ بركم وكل رقيق فيكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله ﷺ أو رسول رسول الله، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخلكم وربع ما صادت عروكم وربع ما اغتزل نساؤكم، وإنكم برثتم بعد ذلك من كل جزية أو سُخْرة ... وأن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل رسول الله ﷺ والسلام»^(١٣٢). وهكذا وكما هو واضح من هذا الكتاب فإن معاملة أهل مقنا أو يهود مقنا جاءت مختلفة من حيث ما يتوجب عليهم سنوياً من الالتزامات تجاه دولة الرسول ﷺ في المدينة إذ يجب عليهم أن يدفعوا سنوياً لحكومة المدينة ربع بعض المحاصيل والمنتجات أي ٢٥٪ من الناتج المحلي! وإذا تعذرت الإجابة عن السبب في هذه المعاملة المغايرة لما سبق أن عامل بها الرسول ﷺ بعض بلدان شمال الحجاز، فإن الإشكال يظل قائماً في تقدير غزل النساء أي ما ينتج منه من نسيج أو لباس وكذلك الأمر بالنسبة للصيد البحري كيف يمكن تقديره والتأكد من صحته؟ وما الآلية التي يتم بها تقدير ذلك؟.

وفي الكتاب كذلك إعفاء أهل مقنا من الجزية وأعمال السُّخْرة، وفي تقديري

أن ما فرض عليهم إن صح فهو أكبر بكثير من الجزية! ثم ماذا عن السخرة؟ لم يسبق لرسول الله ﷺ أن كلف أحداً أو جماعة من الناس بأعمال سخرة، فما بال الإشارة إليها هنا؟

ويلاحظ كذلك أن النبي ﷺ يتعهد لأهل مقنا بأن لا يكون عليهم إلا أميرٌ منهم أو من أهل رسول الله ﷺ وهذه ميزة لم يحظ بها في تقديري أي بلد آخر. ومن الإشكالات الأخرى في الكتاب زمن كتابته إذ ليس فيه إشارة لوقت تدوينه؟ وليس من المستبعد أنه تم في سياق غزوة تبوك.

ويظل أمر مقنا وما فرض عليها من التزامات وما حظيت به من بعض الامتيازات محل تساؤل في ظل غياب المصادر المناسبة. وغير بعيد عن مقنا تقع مدين.

٤ - مدين:

«... قال أبوزيد: مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك ... وهي أكبر من تبوك»^(١٣٣) ومدين: هي مدياما Madiama، المحلة القديمة المعروفة باسم مدين وقد وسعها الأنباط، وتعرف الآن باسم البدع^(١٣٤). وهي بلدة بين تبوك والساحل على نحو (١٣٢) كيلاً غرب تبوك، وهي في وادٍ بين الجبال وواديها يُسمى عُفال..^(١٣٥)

جاء في أخبار السيرة ما يشير باقتضاب إلى العلاقة بين النبي ﷺ وأهل مدين. فقد ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، فأصاب سبياً من أهل مينا^(١٣٦).

ويظهر أن الأمر لا يخلو من لبس فوق الخلل بين مدين ومقنا التي أشار إليها ابن هشام باسم «مينا»^(١٣٧). حيث إن سرية زيد كانت إلى مقنا وليس مدين^(١٣٨). ويذكر الحميري أن يهود مدين يحتفظون بكتاب يزعمون أن النبي

ﷺ كتب لهم، ويظهرونه للناس -حتى الآن- في قطعة أديم - كتبه علي بن أبي طالب رضى الله عنه. وهو عند أهل قرية من ساحل مدين، يقال لها «مسي»^(١٣٩) وعلى فرض صحة ما جاء عند ابن هشام عن «مدين» إلا أنه لا يفيدنا عن دخول مدين في طاعة دولة الرسول ﷺ، ومتى كتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم المزعوم الذي أشار إليه الحميري؟ وهل كان إسلامهم في غزوة العُسرة، أي [تبوك] أم بعد ذلك؟

ويمكن أن يضاف إلى نتائج غزوة تبوك إقرار الأكيدر صاحب دومة الجندل^(١٤٠) بدفع الجزية لدولة الرسول ﷺ، والانضواء تحت لوائها، وذلك بعد أن وجه رسول الله ﷺ حملة عسكرية من تبوك إلى دومة الجندل قوامها ٤٢٠ فارساً^(١٤١)، بقيادة خالد بن الوليد، حيث نجحت في أسر الأكيدر وإحضاره إلى رسول الله ﷺ، حيث أقر بالجزية ودان بالطاعة.

ويظهر أن دومة الجندل هي الوحيدة من منظومة المستوطنات الشمالية التي أرسل لها الرسول ﷺ حملة عسكرية، وذلك نظراً لما تمثله من خطورة على أمن الحدود الشمالية لدولة المسلمين بالمدينة.

والروايات التي تعرضت لحملة خالد بن الوليد إلى دومة الجندل تصرح بأن الأكيدر يدين بالنصرانية^(١٤٢)، وليس من المستبعد أن يكون بين سكان دومة من يدين بالنصرانية كذلك. والمصادر نفسها التي تحدثت عن هوية الأكيدر الدينية لم تشر إلى وجود جالية يهودية في دومة. ولعل المسوغ الوحيد الذي دفع بالباحث إلى الإشارة إلى دومة الجندل وصلحها مع رسول الله ﷺ - علماً بأنها ليست من شمال الحجاز - هو كون ذلك الصلح أحد النتائج المباشرة لغزوة تبوك.

الخلاصة:

إن صلح الحديبية الذي أبرمه رسول الله ﷺ مع قريش لم يكن الهدف منه

التفرغ للاستيلاء على خيبر، إذ من المعلوم أن رسول الله ﷺ ذهب في أواخر السنة السادسة من الهجرة إلى مكة قاصداً العمرة، ولكن عندما وقفت قريش في وجهه اضطر لعقد الصلح معهم على أن يعتمر في العام القادم. ولم يكن في بنود الصلح أي إشارة إلى خيبر. وهذا يدحض مزاعم بعض المستشرقين الذين زعموا أن رسول الله ﷺ ذهب إلى الحديبية لعقد الصلح مع قريش حتى يتمكن من غزو خيبر.

وعلى كل، فقد كان من ثمار ذلك الصلح، غزوة خيبر نظراً لما كان يمثلته اليهود من خطورة على أمن المسلمين بالمدينة، وكفى شاهداً على ذلك قيامهم بتحزيب الأحزاب وحصار المدينة في السنة الخامسة من الهجرة إذ عُرف ذلك الحدث بغزوة الأحزاب. يضاف إلى ذلك رغبة الرسول ﷺ بتحرير طريق التجارة والمواصلات مع الشام وتخليصه من المخاطر التي كان يمثلها اليهود في خيبر وما والاها.

كذلك فقد كان استيلاء المسلمين على فدك ووادي القرى وقيماء من النتائج المتوقعة للاستيلاء على خيبر. أما الحملات الصغيرة التي بعثها رسول الله ﷺ قبل فتح خيبر إلى فدك ووادي القرى، فلم يكن الهدف منها إخضاع اليهود القاطنين في تلك الأصقاع، بل كانت تهدف إلى تأديب بعض الأعراب الذين حاولوا المساس بهيبة دولة الرسول ﷺ بالمدينة.

وإجمالاً، فإنه يمكن القول أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين صلح الحديبية واستيلاء المسلمين على خيبر وبقيّة المستوطنات الأخرى التي أُشير إليها آنفاً، ولكن يجب ألا يغيب عن الذهن أن الاستيلاء على خيبر والمستوطنات المصاوبة لها لم يكن نتيجة خطط مبيتة ومدروسة من قبل النبي ﷺ، بل كانت نتائج تلقائية لصلح الحديبية. وبذلك فقد تمكن الرسول ﷺ في خلال هذه المرحلة

من الجهاد الاستيلاء على النصف الجنوبي من شمال الحجاز. أما النصف الآخر فقد ارتبط بغزوة العُسرة أو تبوك، أي بعد سنتين تقريباً من غزوة خيبر. ويبدو واضحاً الارتباط بين غزوة تبوك وانضواء أقصى المستوطنات الواقعة في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية، إذ أنه بمجرد وصول النبي ﷺ إلى تبوك التي لم يمكث فيها إلا قرابة عشرين يوماً، حتى سارعت تلك المستوطنات المتمثلة في أيلة وأذرح وجرباء ومقنا إلى الاعتراف بسلطة النبي ﷺ عليها والإقرار له بدفع الجزية، بما في ذلك دومة الجندل التي لا تعد من شمال الحجاز، ولكن انضواءها تحت سلطة النبي ﷺ كان من النتائج المباشرة لغزوة تبوك. أما مدين فأمر تبعيتها لسلطة النبي ﷺ، ليس واضحاً وذلك على الأقل من حيث التوقيت؛ أي هل يعد دخولها في طاعة دولة الرسول ﷺ من نتائج غزوة تبوك أم كان قبل ذلك؟ علماً بأن المصادر التي تحدثت بإسهاب عن غزوة تبوك وما أسفر عن ذلك من انضمام المستوطنات الشمالية المجاورة لها لم تشر إلى مدين!

وإجمالاً فإنه يمكن القول أن غزوة تبوك هي الأخرى لم يكن قد خُطط لها مسبقاً وأُعدت العدة لذلك، وإنما كان الخروج إليها اضطراراً في ظروف بالغة الصعوبة سبقت مناقشتها، حيث كان خروجه ﷺ دفاعاً عن دولة الإسلام الناشئة؛ أما ما نتج عن ذلك من انضواء تلك المستوطنات الواقعة في شمال الحجاز، فقد كان من ثمار نجاح النبي ﷺ في الوصول إلى تبوك، وإظهار قوة الدولة الفتية مما دفعها إلى الاعتراف بنفوذ النبي ﷺ والتسليم بسلطته والإقرار بدفع الجزية. «وبعبارة أخرى فإن المعاهدات التي أبرمها رسول الله ﷺ مع أهل دومة الجندل وأيلة ومقنا وأذرح والجرباء، تعد أكبر إنجاز للمسلمين في تاريخ الصراع بينهم وبين الروم في حياة الرسول ﷺ. إذ أن ذلك قد ضمن ولاء

التجمعات الدائرة في فلك الروم وتحييدها في ذلك الصراع الدائر بين المسلمين وبينهم»^(١٤٣)، أما ما يتعلق بالهوية الدينية لسكان تلك المستوطنات، فيبدو أنها ليست ذات ديانة يهودية بالمطلق، إذ تشاركها جماعات عربية أخرى ذات معتقدات دينية مختلفة. وفي هذا السياق لا بد كذلك من الإشارة إلى الشكوك حول أصول تلك الجماعات ذات الديانة اليهودية. إذ أنه ليس من المؤكد أنها تعود إلى أصول إسرائيلية خالصة وليس من المستبعد كذلك أنها أو بعضها على الأقل قبائل عربية متهودة.

على كل، فإنه بسبب غياب المعلومات التاريخية المناسبة؛ فإن هذه الشكوك تظل دون إجابة مقنعة.

هذا ما أدى إليه الاجتهاد والله أعلم بالصواب.

الإحالات والمصادر والمراجع

(*) استاذ بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

(١) إن مصطلح «شمال الحجاز» يشمل جميع الإقليم الواقع شمال مكة، ويمتد شمالاً حتى سُرْعَ وأيلة، بما في ذلك الإقليم الواقع بين البحر الأحمر وذات عرق (الضُريبة)، وخيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك ولكن لن يؤخذ في هذا البحث بهذا التحديد. انظر:

Abdullah AL- Wohaibi, Th[Northern Hijaz in th[Writings of th[Arab Geographers, 800-1150

p.31 (Beirut: 1973) انظر الملاحق، ملحق رقم (1).

(٢) أحمد علي المجذوب. المستوطنات اليهودية على عهد الرسول ﷺ، الطبعة الثانية (د. م: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م).

(٣) أسامة جمعة الأشقر. الجماعات اليهودية في شمال غرب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م).

(٤) الحديبية: نسبة إلى شجرة كبيرة حذاء كانت في ذلك الموضع الذي جرت فيه المفاوضات بين النبي ﷺ وأهل مكة، ومن ثم كان إبرام الصلح. والحديبية هي ما يعرف الآن بالشميسي، يبعد عن المسجد الحرام بحوالي (٢٢) كيلاً، حيث يقع بين مكة وجدة. انظر عاتق غيث البلادي. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، الطبعة الأولى (مكة: دار مكة للنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٩٤؛ سعد بن جندل. معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ١٧٥-١٨٠.

(٥) انظر: عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الثانية (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ٣/٣٤٦؛ محمد بن عمر الواقدي. المغازي: تحقيق مارسدن جونز، الطبعة الثالثة (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ٢/٤٤١ - ٤٤٢؛ محمد بن سعد البصري. الطبقات الكبرى؛ تقديم إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د. ت)، ٩٧/٢.

(٦) انظر خبر خروج رُسُل النبي ﷺ إلى زعماء العالم آنذاك يدعونهم إلى الإسلام عند محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الطبعة الأولى (الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٥٩٥ (ح: ٢٩٣٨ - ٢٩٤٠).

(٧) ابن هشام. السيرة، ٣/٢٣٨؛ الواقدي. المغازي، ٢/٤٤١ - ٤٤٣؛ ابن سعد. الطبقات، ٢/٦٥ - ٦٦.

(٨) الواقدي. المغازي، ٢/٤٤٣.

(٩) انظر البخاري. الصحيح، ص ٨٤٧ (ح: ٤١١٠).

(١٠) ابن هشام. السيرة النبوية، ٣/٣٤٦؛ الواقدي. المغازي، ٢/٦١١-٦١٢؛ ابن سعد. الطبقات، ٩٧/٢.

(١١) انظر إسرائيل ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (مصر: دار الاعتماد، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، ص ١٦٢، إذ أنه يذكر أسباباً أخرى لغزوة خيبر!

(١٢) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣/٣٥٧؛ الواقدي. المغازي، ٢/٦٣٤؛ ابن سعد. الطبقات، ٢/٦٠١؛ أحمد بن يحيى البلاذري. أنساب الأشراف؛ تحقيق محمد حميد الله، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، د. ت) ١/٢٥٢؛ وقارن J. M. B. Jones «The Chronology of the Maghazi, A Textual Survey» BSOAS, vol xix, 1957, p.254.

وانظر الأقوال المختلفة الواردة بشأن تاريخ غزوة خيبر لدى محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية). زاد المعاد في هدى خير العباد؛ تحقيق عرفان عبد القادر العش، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ٣/٢٧٤؛ أحمد بن الحسين البيهقي. دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة؛ تحقيق عبد المعطي قلنجي، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٤/١٩٦.

(١٣) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣/٣٨٠؛ الواقدي. المغازي، ٢/٦٣٤؛ ابن سعد. الطبقات، ١٠٧/٢.

(١٤) الواقدي. المغازي، ٢/٦٣٤.

(١٥) سباع بن عُرْفطة الغفاري: استعمله النبي ﷺ على المدينة لما خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل. وهو من مشاهير الصحابة. انظر علي بن محمد الجزري ابن الأثير. أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ تحقيق خليل مأمون شيخا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ٢/٢٧٤.

(١٦) البخاري. صحيح البخاري، ص ٥٨٩، (ح: ٢٩٤٥)؛ مسلم بن الحجاج القشيري. صحيح مسلم؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (د. م: دار الفكر، د. ت)، ٣/١٤٢٦-١٤٢٧ (ح: ١٣٦٥).

(١٧) البخاري. الصحيح، ص ٥٩٧ (ح: ٢٩٤٣)؛ وانظر محمد بن يوسف الصالحي. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد؛ تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ٥/١١٨-١١٩.

(١٨) سهل بن سعد: من بني ساعدة من الخزرج. كان عمره يوم توفي رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة، وتوفي سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين، وفيه خلاف. انظر ابن الأثير. أسد الغابة، ٢/٣٩٠-٣٩١، (ت: ٢٢٩٥). ويبدو أن عمر سهل يوم خيبر كان (١١) عاماً، ولم يذكر مصدر روايته، وهذا الأمر ربما لا يخلو من إشكال.

(١٩) البخاري. الصحيح، ص ٨٦٨-٨٦٩ (ح: ٤٢١٠)؛ وقارن ابن سعد. الطبقات، ٢/١١٠؛ الصالحي.

سبل الهدى، ١٢٤/٥ - ١٢٥.

(٢٠) انظر محمد حميد الله. مجموعة الوثائق السياسية... الطبعة الرابعة (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٩٢-٩٣، وثيقة (١٥). والملاحق، ملحق رقم (٢).

(٢١) ابن سعد. الطبقات، ١٠٧/٢؛ وانظر ملاحظات حمد الجاسر حول حصون خيبر وأسمائها، في شمال غرب الجزيرة، الطبعة الأولى (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص ٢٥٣-٢٦٠.

(٢٢) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٥٦/٢.

(٢٣) الواقدي. المغازي، ٦٣٤/٢، ٦٣٧.

(٢٤) محمود شيت خطاب. الرسول القائد (بيروت: مكتبة الحياة، د. ت)، ص ١٩٩.

(٢٥) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٥٧/٣ - ٣٨٢.

(٢٦) ابن سعد. الطبقات، ١١٠/٢؛ وقارن ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٦/٣ - ٣٦٧؛ الصالحي. سبل الهدى، ١٣١/٥.

(٢٧) الواقدي. المغازي، ٦٦٩/٢؛ الصالحي. سبل الهدى، ١٣١/٥.

(٢٨) الواقدي. المغازي، ٦٦٩/٢ - ٦٧٠؛ وانظر إسرائيل ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢٩) أم عمارة: هي نسيبة بنت كعب بن مازن الأنصارية. شهدت بيعة العقبة وبايعت، ثم شهدت أحداً والحديبية وخيبر وعمره القضاء والفتح وحنيناً واليمامة. انظر ابن سعد. الطبقات، ٤١٢/٨ - ٤١٦؛ أحمد بن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة؛ تحقيق مأمون شيجا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ٤/٢٧٢٩ - ٢٧٣٠، (ت: ١٢١٧٤).

(٣٠) الواقدي. المغازي، ٦٦٥/٢.

(٣١) اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، ٥٦/٢.

(٣٢) سيد محمود القمني. حروب دولة الرسول ﷺ، الطبعة الثانية (القاهرة: مدبولي الصغير، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص ٢٠٦.

(٣٣) انظر ابن سعد. الطبقات، ١٠٧/٢.

(٣٤) كنز آل أبي الحقيق: عبارة عن مسك جمل (أي جلد جمل) فيه أسورة الذهب ودمالج الذهب وخلاخل الذهب وقرطة الذهب، ونظم من جوهر وزمرد وخواتم ذهب وفتح بجزع ظفار مجزع بالذهب. انظر الواقدي. المغازي، ٦٧٣/٢. وانظر ابن هشام، السيرة، ٣٦٦/٣؛ وقارن الواقدي. المغازي، ٦٧٢-٦٧٣.

(٣٥) انظر الواقدي. المغازي، ٦٧١/٢ - ٦٧٢.

- (٣٦) الواقدي. المغازي، ٦٧٢/٢ - ٦٧٣؛ وقارن محمد بن محمد بن سيد الناس. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائيل والسير (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ١٣٨/٢.
- (٣٧) ابن سيد الناس. عيون الأثر، ١٣٨/٢.
- (٣٨) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٣/٣.
- (٣٩) ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٥/٣ - ٣٦٦.
- (٤٠) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٦/٣؛ الواقدي. المغازي، ٦٧١/٢ - ٦٧٢.
- (٤١) موسى بن عقبة. المغازي، جمع ودراسة وتخريج محمد باقشيش أبو مالك (الرباط: مطبعة المعارف، ١٩٩٤م)، ص ٢٥٠ - ٢٥١.
- (٤٢) ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٠/٣.
- (٤٣) ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٠/٣؛ وقارن محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. الجامع الصحيح (سنن الترمذي)؛ تحقيق إبراهيم عطوة وآخرين (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ١٣٣/٤، (ج: ١٥٦٤).
- (٤٤) انظر الواقدي. المغازي، ٦٣٤/٣.
- (٤٥) أبو حدرد الأسلمي: قيل اسمه سلامة بن عمير، وقيل اسمه عُقبَة، له صحبة، وهو والد أم الدرداء خيرة زوجة أبي الدرداء، يُعد من أهل الحجاز. انظر ابن الأثير. أسد الغابة، ٤١٥/٤ (ت: ٥٨٠٥). وربما أن الواقدي أخطأ في اسم أبي حدرد، إذ قال إنه عبد الله بن أبي حدرد، والواقع أن عبد الله ابنه. انظر المغازي، ٦٣٤/٢؛ وقارن ابن الأثير. أسد الغابة، ٤١٥/٤.
- (٤٦) انظر أخبار غزوة بني قريظة عند الواقدي. المغازي، ٤٩٦-٥٢٨.
- (٤٧) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣٦٧/٣؛ الواقدي. المغازي، ٦٩٠/٢ - ٦٩١؛ وقارن ابن قيم الجوزية. زاد المعاد، ٢٨٢/٣؛ الصالحي. سبل الهدى، ١٣٢/٥ - ١٣٣.
- (٤٨) محمد جمال الدين سرور. قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص ١٤٩.
- (٤٩) صفية بنت حُيي بن أخطب من بني النضير من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وأمها برة بنت سموأل من بني قريظة إخوة النضير. قتل عنها زوجها يوم خيبر واصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه، فأعتقها وتزوجها، وتوفيت صفية سنة (٥٢هـ)، ودفنت بالبقيع. انظر ابن سعد، الطبقات، ١٢٠/٨ - ١٢٩.
- (٥٠) انظر خبر يهود بني النضير وإجلاؤهم عن المدينة عند الواقدي. المغازي، ٣٦٣/١ - ٣٨٠.
- (٥١) انظر التفسيرات المختلفة لصلح الحديبية، وزواج النبي ﷺ من صفية عند إسرائيل ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٧٢؛ شوقي أبو خليل. في التاريخ الإسلامي (دمشق: دار الفكر، ١٤١٢هـ)، ص ١٤٦.

(٥٢) انظر ولفنسون. تاريخ اليهود، ص ١٥٩؛ وقارن:

Michael Lecker, "The Hudaibiyya Treaty and the Expedition Against Khaybar" JSAI, 1984 (pp.1-11) esp. p.6; Maxim Rodinson, Muhammad, trans. From Fr. by Ann Carter, Penguin Books (1971), pp.252-53

(53) M. Hamidullah, The Battlefields of the Prophet Muhammad. (Hyderabad: Deccan, 1392-93), p.50.

(54) M. Rodinson, Muhammad. p.253.

(55) M.Watt, Muhammad At Medina. (Oxford. At the Clarendon Press, 1977). p.218; Watt, Muhammad Prophet and Statesman. (Oxford Univ. Press, 1980), pp.188-89.

(٥٦) كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية؛ نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومخير البعلبكي، الطبعة السابعة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م)، ص ٥٦ - ٥٧.

(٥٧) غزوة الحديبية: في الواقع أن هذا المصطلح قد تردد كثيراً في مصادر السيرة النبوية علماً أن واقع الحال لا يدل على غزوة بل عمرة لم تتم، حيث اتفق النبي ﷺ مع أهل مكة على الصلح، وهو الصلح الذي عُرف بـ «صلح الحديبية»، الذي أبرم في أواخر السنة السادسة من الهجرة، أي في ذي القعدة، وذلك في مكان يعرف بالحديبية. ومن المصادر التي صرحت بمصطلح «غزوة» محمد بن شهاب الزهري. المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ)، ص ٥٠؛ موسى بن عقبة. المغازي، ص ٢٣٣؛ الواقدي. المغازي، ٥٧١/٢؛ البخاري. الصحيح، ص ٨٥٧؛ على بن أحمد بن سعيد بن حزم. جوامع السيرة النبوية، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ١٦٤؛ إسماعيل بن عمر بن كثير. سيرة الرسول ﷺ؛ تحقيق سيد بن عباس الجليمي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الصفا، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ١١١؛ ابن سيد الناس. عيون الأثر، ١١٣/٢.

أما الفريق الآخر وهم ثلاثة من المؤرخين والمحدثين، فقد آثروا استخدام مصطلحات مختلفة عند الحديث عن يوم الحديبية، فإبن هشام في السيرة يبوب لها بعنوان: «أمر الحديبية» ٦٣٦/٣؛ ونجدها عند الإمام مسلم في صحيحه بعنوان «صلح الحديبية» ١٤٠٩/٣ (ح: ١٧٨٣)؛ أما يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، فقد تحدث عنها تحت عنوان: «عمرة الحديبية»، انظر الدرر في اختصار المغازي والسير؛ تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثانية (دمشق بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٢٢٢. ومن الثابت تاريخياً أن ما حدث في الحديبية لم يكن غزوة ولا عمرة، بل كان صلحاً بين النبي ﷺ وأهل مكة.

(٥٨) انظر شوقي أبو خليل. حيث تحدث بإسهاب عن صلح الحديبية والفوائد التي جناها المسلمون منه. في التاريخ الإسلامي، ص ١٢٥-١٣٢.

- (٥٩) انظر ابن سعد. الطبقات، ١٠٤/٢؛ البيهقي. دلائل النبوة، ١٥٥/٤ - ١٦٠.
- (٦٠) إسرائيل ولفنسون. اليهود في بلاد العرب، ص ١٦٢.
- (٦١) البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٣٥.
- (٦٢) محمد بن عبد المنعم الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق إحسان عباس (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ص ٤٣٧ - ٤٣٨.
- (٦٣) مُحَيِّصَة بن مسعود بن كعب بن عامر الأوسي الأنصاري، يكنى أبا سعد. يعد في أهل المدينة. كان إسلامه قبل الهجرة. انظر ابن الأثير. أسد الغابة... ٨٩/٤ - ٩٠ (ت: ٤٧٨٥).
- (٦٤) الواقدي. المغازي، ٧٠٦/٢؛ وقارن أحمد بن يحيى البلاذري. أنساب الأشراف، ٣٥٢/١؛ البلاذري. فتوح البلدان؛ تحقيق عبدالله وعمر الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٤١ - ٤٢.
- (٦٥) بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد. شهد بشير العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق. انظر، ابن سعد. الطبقات، ٥٣١/٣ - ٥٣٢.
- (٦٦) الواقدي. المغازي، ٧٢٣/٢؛ ابن سعد. الطبقات، ٥٣١/٣ - ٥٣٢.
- (٦٧) غالب بن عبدالله الليثي. عداة في أهل الحجاز. بعثه رسول الله ﷺ عام الفتح ليسهل لهم الطريق، وقد كلفه رسول الله ﷺ بقيادة بعض السرايا. انظر، ابن الأثير. أسد الغابة، ٤٤٢/٣ - ٤٤٣ (ت: ٤١٧٢).
- (٦٨) الواقدي. المغازي، ٧٢٣/٢ - ٧٢٤؛ انظر ابن سعد. الطبقات، ١٢٦/٢.
- (٦٩) الكديد: بفتح الكاف وكسر الدال المهملة، يقع بين عسفان وأمج، وأمج، يسمى اليوم «خليص» وعسفان ما زال معروفًا. والكديد: يعرف اليوم باسم «الحمض» أرض بين عسفان وخليص على مسافة (٩٠) كيلاً من مكة على الجادة العظمى إلى المدينة. البلادي. معجم المعالم الجغرافية...، ص ٢٦٣.
- (٧٠) الواقدي. المغازي، ٧٢٣/٢ - ٧٢٤.
- (٧١) للاطلاع على الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب لإجلاء اليهود من خيبر وفدك، انظر، محمد بن فارس الجميل. «إجلاء عمر بن الخطاب ﷺ لأهل الذمة»، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد السابع، ذو القعدة، ١٤٢٣هـ/ يناير ٢٠٠٣م، ص ٧ - ٥١.
- (٧٢) انظر، البلادي. معجم المعالم الجغرافية...، ص ٢٥٠؛ ياقوت بن عبدالله الحموي. معجم البلدان (بيروت: دار صادر وبيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) مادة «قُرَح»؛ وحول وادي القرى وقرى عربية، انظر الدراسة المتمعة المنشورة في مجلة العرب، للأستاذ محمود محمد شاكر، ج ٩، س ٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، ص ٧٦٩ - ٧٩٧.

(٧٣) انظر، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ١/٤٣-٤٤؛ وانظر محمود محمد شاكر، قرى عربية. العرب، ص ٧٨٧.

(٧٤) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ٣/٣٥٣.

(٧٥) الواقدي. المغازي، ٢/٧١١؛ وقارن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير. الكامل في التاريخ (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، ٢/٢٢٢؛ البلاذري. فتوح البلدان، ص ٤٧-٤٨.

(٧٦) الواقدي. المغازي، ٣/١٠٠٦.

(٧٧) ابن سعد. الطبقات، ١/٢٧٩.

(٧٨) الواقدي. المغازي، ٣/١٠٠٦.

(٧٩) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ٢/٢٢٢.

(٨٠) محمد بن أحمد البشاري المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم؛ تحقيق محمد مخزوم (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)، ص ٨٣-٨٤.

(٨١) ياقوت الحموي. معجم البلدان، مادة «تيماء»؛ حول السموأل وأسطورة يهوديته، انظر حمد الجاسر. في شمال غرب الجزيرة، ص ٣٣٧-٣٤٤؛ وانظر كذلك الأقوال المختلفة حول تيماء عند سعد بن جنيديل في معجم الأمكنة، ص ١١٤-١١٩.

(٨٢) الواقدي. المغازي، ٢/٧١١؛ البلاذري. فتوح البلدان، ص ٤٨؛ إسماعيل بن عمر بن كثير. البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار هجر، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ٦/٣٥٣.

(٨٣) علي بن الحسين المسعودي. التنبيه والإشراف (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ص ٢٤٠.

(٨٤) المبارك بن محمد الجزري، ابن لأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ٢/٣٥٦؛ وانظر محمد حميد الله. مجموعة الوثائق السياسية، ص ٩٨ وثيقة (١٩)، انظر الملاحق، ملحق رقم (٣).

(٨٥) موسى بن عقبة. المغازي، ص ٣٠٠.

(٨٦) البيهقي. دلائل النبوة، ٥/٢٥٢.

(٨٧) ياقوت الحموي. معجم البلدان، ٢/٦٧.

(٨٨) انظر البلاذري. فتوح، ص ٤٧-٤٨؛ المسعودي. التنبيه والأشراف، ص ٢٤٠.

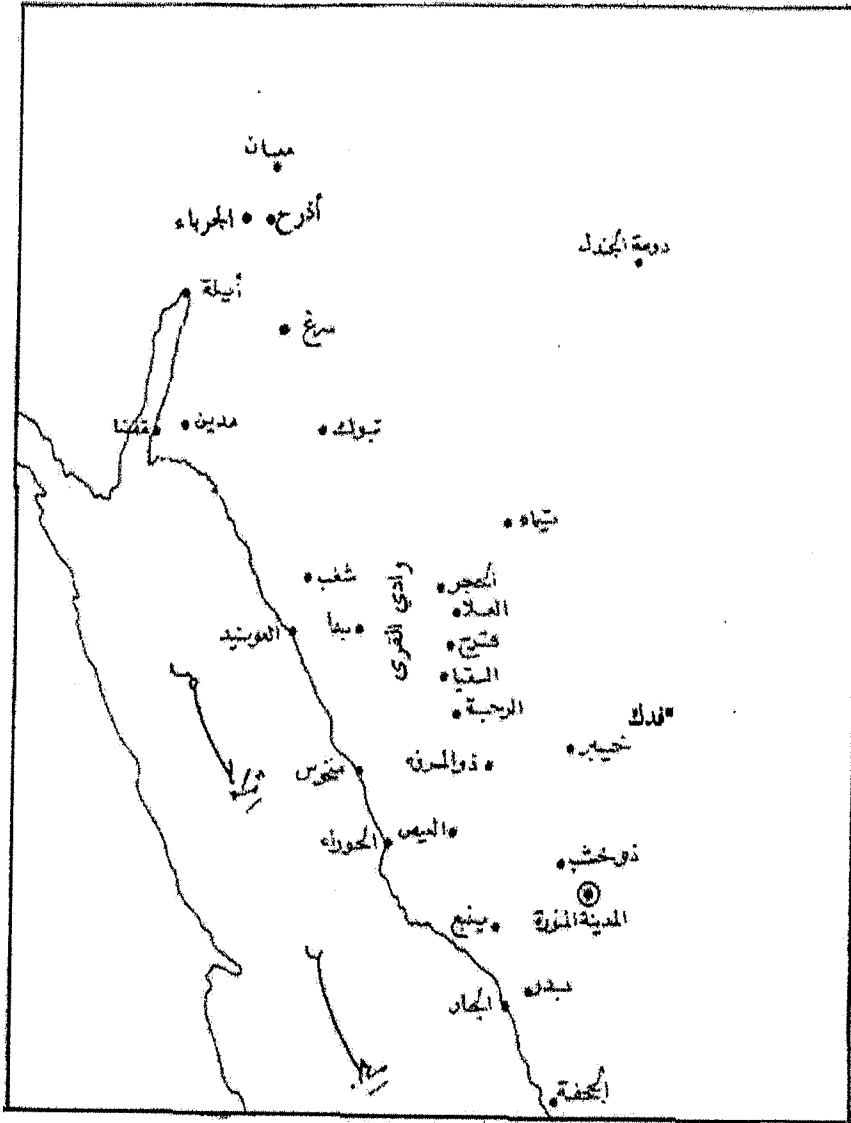
(٨٩) انظر إسماعيل بن كثير الدمشقي. مختصر تفسير ابن كثير؛ اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة السابعة (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م)، ٢/١٣٤-١٣٦.

- (٩٠) انظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، ١٤/١.
- (٩١) انظر: البلادي. معجم المعالم الجغرافية، ص ٥٩.
- (٩٢) انظر، ابن هشام. السيرة النبوية، ١٦٩/٤؛ ابن سعد. الطبقات، ١٦٥/٢؛ البلاذري. فتوح البلدان، ص ٧٩؛ المسعودي. التنبيه والأشراف، ص ٢٥١؛ ابن حزم. جوامع السيرة النبوية، ص ١١٩؛ ابن عبد البر النمري. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٨٦؛ إسماعيل بن كثير. سيرة الرسول، ص ١٣٧؛ البداية والنهاية، ١٤٤/٧.
- (٩٣) ابن كثير. سيرة الرسول، ص ١٣٧.
- (٩٤) انظر، ابن كثير. مختصر تفسير ابن كثير، ١٧٥/٢.
- (٩٥) انظر: محمد بن أحمد القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ضبط ومراجعة صدقي العطار وعرفان العشا، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ٣/٤، ص ٢٢٦٩-٢٢٧٠؛ فتوح البلدان، ص ٧٩.
- (٩٦) ابن هشام. السيرة النبوية، ١٦٩/٤ - ١٧٠؛ الواقدي. المغازي، ٩٩٠/٣؛ ابن سعد. الطبقات، ١٦٧/٢؛ ابن عبد البر. الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٨٦.
- (٩٧) انظر، الواقدي. المغازي، ١٠١٩/٣؛ الصالحي. سبل الهدى، ٤٥٩/٥.
- (٩٨) الواقدي. المغازي، ١٠١٩/٣؛ الحلبي. إنسان العيون، ١١٩/٣.
- (٩٩) مالك بن أنس. الموطأ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د: ت)، ص ١٤٣ - ١٤٤؛ كتاب قصر الصلاة في السفر (ح: ٢)؛ مسلم بن الحجاج القشيري. صحيح مسلم، ١٧٨٤/٤ - ١٧٨٥، كتاب الفضائل (ح: ١٠)، وقارن الواقدي. المغازي، ١٠١٢/٣؛ الصالحي. سبل الهدى، ٤٧٩/٥.
- (١٠٠) البلاذري. فتوح البلدان، ص ٧٩ - ٨٠.
- (١٠١) انظر جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية (د: م، د: ن، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ٤٣١/٤.
- (١٠٢) ياقوت الحموي. معجم البلدان، مادة (أيلة).
- (١٠٣) البلادي. معجم المعالم الجغرافية...، ص ٣٥.
- (١٠٤) المقدسي. أحسن التقاسيم...، ص ١٥٢.
- (١٠٥) جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٤٢/١؛ وانظر ما جاء عن أيلة، سعد بن جنيديل، معجم الأمكنة، ص ٤٤ - ٤٦.
- (١٠٦) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ١٧٩/٤ - ١٨٠؛ وانظر كتاب رسول الله ﷺ لأهل أيلة عند ابن هشام، ١٨٠/٤؛ الواقدي. المغازي، ١٠٣١/٣. وقارن حميد الله. الوثائق السياسية؛ الوثيقة، (٣١-٣١ ألف)، ص ١١٧ - ١١٨، انظر الملاحق، ملحق رقم (٤).

- (١٠٧) الواقدي. المغازي، ١٠٣١/٣؛ البلاذري. فتوح البلدان، ص ٧٩-٨٠.
- (١٠٨) المسعودي. التنبية والأشراف، ص ٢٥٢.
- (١٠٩) الواقدي. المغازي، ١٠٣١/٣-١٠٣٢.
- (١١٠) البخاري. صحيح البخاري، ص ٦٤٥ (ح: ٣١٦١)؛ وقارن الحلبي. إنسان العيون، ١١٧/٣؛ البيهقي. دلائل النبوة ...، ٢٤٨/٥؛ ابن كثير. البداية والنهاية، ١٦٧/٧.
- (١١١) انظر ابن سعد. الطبقات، ٢٧٧/١-٢٧٨؛ حميد الله. الوثائق السياسية، ص ١١٦؛ وثيقة (٣٠)، انظر الملاحق. ملحق رقم (٥).
- (١١٢) انظر، الواقدي. المغازي، ١٠٣١/٣؛ ابن سعد. الطبقات، ٢٩٠/١.
- (١١٣) راجع ياقوت الحموي. معجم البلدان، مادة «أيلة».
- (١١٤) ياقوت الحموي. معجم البلدان، مادة «أذرح».
- (١١٥) البلاذري. معجم المعالم الجغرافية ...، ص ٨١.
- (١١٦) انظر، مسلم. صحيح مسلم، ١٧٩٧/٤-١٧٩٨ (ح: ٢٢٩٩).
- (١١٧) أحمد بن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ تحقيق عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ٥٧٦/١١.
- (١١٨) انظر ابن هشام. السيرة النبوية، ١٧٩/٤؛ وانظر البكري. معجم ما استعجم، ٣٧٤/٢-٣٧٥.
- (١١٩) الواقدي. المغازي، ١٠٣٢/٣؛ انظر محمد حميد الله. مجموعة الوثائق ...، ص ١١٨-١١٩؛ الوثيقة (٣٢-٣٢ ألف)، انظر الملاحق، ملحق رقم (٦).
- (١٢٠) الواقدي. المغازي، ١٠٣٢/٣.
- (١٢١) ابن كثير. البداية والنهاية، ١٧٨/٧.
- (١٢٢) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ٢٨٠/٢.
- (١٢٣) ابن سعد. الطبقات، ٢٩١/١.
- (١٢٤) ابن سعد. الطبقات، ٢٩٠/١. وانظر حميد الله، الوثائق السياسية، ص ١١٨-١١٩ (الوثيقة: ٣٢-٣٢ ألف).
- (١٢٥) ياقوت الحموي. معجم البلدان، مادة «مقتنا».
- (١٢٦) انظر ابن سعد. الطبقات، ٢٩٠/١.
- (١٢٧) أ. موسل، شمال الحجاز؛ ترجمة عبدالمحسن الحسيني (الإسكندرية: مطابع رمسيس، ١٩٥٢م)، ص ١٣١.
- (١٢٨) ابن سعد. الطبقات الكبرى؛ تحقيق زياد منصور، الطبعة الثانية (المدينة: مكتبة العلوم والحكمة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)، ص ٤٥٢-٤٥٣.

- (١٢٩) الواقدي. المغازي، ١٠٣٢/٣ - ١٠٣٣.
- (١٣٠) ابن سعد. الطبقات، ٢٩٠/١.
- (١٣١) ابن سعد. الطبقات، ٢٧٦/١ - ٢٧٧.
- (١٣٢) ابن سعد. الطبقات ... ٢٧٧/١، وقارن صلح النبي ﷺ المزعوم مع يهود مقنا لدى البلاذري، ص ٨٠-٨١، وهو يختلف في كثير من تفاصيله عن كتاب الصلح الذي أورده ابن سعد؛ وانظر إسرائيل ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٧٨-١٧٩. حيث يعتمد نسخة كتاب الصلح الوارد عند البلاذري، ويصحح اسم بني جنبه من يهود مقنا إلى بن «حنينة»؛ وقارن حميد الله. الوثائق السياسية، ص ١١٩-١٢٠، وثيقة (٣٣)؛ وانظر الملاحق، ملحق رقم (٧)، وانظر الروايات الأخرى عن معاهدة مقنا لدى حميد الله، الوثائق السياسية، ص ١٢١-١٢٢، الوثيقة (٣٤) ملحق رقم (٦).
- (١٣٣) ياقوت الحموي. معجم البلدان، مادة «مدين».
- (١٣٤) موسل. شمال الحجاز، ص ١٣١؛ وانظر كذلك مادة «مدين». عند موسل، ص ٦٩-٨٦.
- (١٣٥) البلاذري. معجم المعالم الجغرافية، ص ٢٨٤.
- (١٣٦) ابن هشام. السيرة النبوية، ٢٩١/٤ - ٢٩٢.
- (١٣٧) ابن هشام. السيرة النبوية، ٢٩٤/٤.
- (١٣٨) ابن سعد. الطبقات الكبرى؛ تحقيق زياد منصور، ص ٤٥٢-٤٥٣ (ترجمة حسين بن عبيد الله).
- (١٣٩) انظر الحميري. الروض المعمار في خبر الأقطار، ص ٥٢٦.
- (١٤٠) أكيدر بن عبد الملك الكندي. صاحب دومة الجندل، وقيل ملك دومة، أسره خالد بن الوليد وأحضره إلى رسول الله ﷺ، فصالحه وأقر بدفع الجزية. انظر: ابن الأثير. أسد الغابة، ١٣٣-١٣٤، (ت: ٢٢٠). وقد أورد الواقدي نص كتاب من النبي ﷺ لأكيدر صاحب دومة الجندل، يتضمن إقرار الأكيدر بالإسلام وخلع الأنداد، ويتضمن كذلك ما فرضه رسول الله ﷺ على أهل دومة. وهو كتاب مشكوك في صحته. انظر الواقدي. المغازي، ١٠٣٠/٣.
- (١٤١) ابن هشام. السيرة النبوية، ١٨٠/٤ - ١٨١؛ الواقدي. المغازي، ١٠٢٥/٣ - ١٠٢٧. البيهقي، دلائل النبوة، ٢٥٠/٥ - ٢٥١.
- (١٤٢) ابن هشام. السيرة النبوية، ١٨٠/٤؛ البيهقي. دلائل النبوة، ٢٥٠/٥.
- (١٤٣) عبد الرحمن أحمد سالم. المسلمون والروم في عصر النبوة (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ١١٦.

الملاحق



ملحق رقم (١) خارطة تقريبية لمستوطنات شمال الحجاز في عصر النبي ﷺ

إلى يهود خيبر

به ص ٣٧٦ - ٣٧٧ - بط ع ١/٩ - عمخ ع ١٢٦ عن أبي نعيم - الزبلي ع ٧ (عن أبي نعيم) -
كنز العمال ج ٥ ع ٥٥١٣ - ٥٥١٤ - إمتاع الأسماع للمقريزي (خطبة كوبرولو استانبول) ص ١٠٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم .

- من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدق لما جاء به .
 ٣ ألا إن الله قال لكم يا معشر أهل التوراة وإنكم لتجدون ذلك في
 كتابكم : ﴿محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشِدَّاءُ على الكفار رُحَمَاءُ
 بينهم ، تراهم رُكعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً .
 ٦ سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة .
 ومثلهم في الإنجيل كزُرْع أُخْرِجَ شَطَأُهُ فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
 على سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . وَعَدَّ اللهُ الَّذِينَ
 ٩ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ .

وإني أنشدكم بالله وأنشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذي أطعم
 من كان قبلكم من أسباطكم المَنِّ والسَّلوَى ، وأنشدكم بالذي أيسَّ
 ١٢ البحرَ لأبائكم حتى أنجاكم من فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ، إلَّا أخبرتكموني : هل
 تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون
 ذلك في كتابكم فلا كُوزة عليكم . « قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »
 ١٥ فأدعوكم إلى الله وإلى نبيِّه .

ملحق رقم (٢)

أمان ليهود بني عاديا من تيماء

بس ج ٢/١ ص ٢٩ (ع ٤٧ ، ١) - ديب ع ٦
قابل الخراج لقدامة ورقة ١٢٠ ب - اللسان مادة « عدا » - النهاية لابن الأثير ، مادة عدا
وانظر كابتاني ٩ : ٥٠ - اشهر نكر ج ٣ ص ٤٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عاديا : إِنَّ لَهُمُ الذِّمَّةَ وَعَلَيْهِمُ
الْجِزْيَةُ ، وَلَا عَدَاءَ وَلَا جَلَاءَ ، اللَّيْلُ مَدَّةٌ ، وَالنَّهَارُ شَدَّةٌ .
وكتب خالد بن سعيد .

ملحق رقم (٣)

(٣١ - ٣١ / ألف)

مكتوب ابن العلماء صاحب أيلة الى رسول الله ومعاهدته صلى الله عليه وسلم مع أهل أيلة

١ به ص ٩٠٢ - بآ ورقة ١٩٩ - بس ج ٢/١ ص ٣٧ (ع ٧٤ ، ١) - بع ع ٥١٣ - قس ج ١
ص ٢٩٧ - عمخ ١٢٣ - فريدون ج ١ ص ٣٣ - ٣٤ - مغازي الواقدي ورقة ٢٣١ (صفحة المطبوع
١٠٣١) - الزرقاني ٣/٣٥٩ - إمتاع الأسماع للمقرئ ج ١ ص ٤٦٨ ؛ ومرة أخرى في القسم الغير
المطبوع منه (خطية كوبرولو) ص ١٠٠٩ ، ١٠٤٠ - الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٦٩/ب ،
٧٠/ألف - دلائل النبوة لليبقي (خطية كوبرولو) ج ١ ، ورقة ٢٣/ب - إرشاد القسطلاني ٦٨/٣ -
٦٩ - الحلبي ٣/١٦٠ .
قابل بس ج ٢/١ ص ٣٧ (ع ٧٥ ب) - كنز العمال ج ٥ ع ٥٦٩٧ - تاريخ البقوي ج ٢ ص
٧٠ - بجن ٥/٤٢٥ - بخاري ٢٤/٥٤ ، ٥١/٢٨ ، ٥٨/٢ وقال في الحواشي الثلاث : « وأهدى
ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء . وكساه (النبي عليه السلام) برداً ، وكتب لهم
يحرهم » - مسلم ٤٣/١١ - مطالب ابن حجر ، ع ٢٦٣١ .
قابل النهاية لابن الأثير ، مادة بحر ، وقال : « ومنه الحديث : كتب لهم بحرهم » .
وانظر كاتاني ٩ : ٣٨ (التعليق الأولى) - اشيربر ص ٤١ - اشيرنكوج ٣ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
ولمكتوب ابن العلماء راجع حواشي السطر ٢ . لم يرو نصه الكامل إلا أن ابن حجر روى :
« فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخر الكتاب يسلم عليه » - التنبيه والإشراف للمسمودي ،
ص ٢٧٢ « فصالحه على أن على كل حال بها دينار في السنة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّهُ بن رُؤبة

وأهل أيلة . سفنهم وسبائرهم في البر والبحر . لهم ذمة الله وذمة ٣

محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر .

فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه

طبيب لمن أخذه من الناس . ٦

وإنه لا يحل أن يمتنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من

بر أو بحر .

هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله .

ملحق رقم (٤)

إلى أسقف أيلة وأهلها

بس ج ٢/١ ص ٢٨ - ٢٩ (ع ٢٥) -
الزرقاني ٣/ ٣٦٠ - ابن حديدة كلمة « يحنه » - ابن حجر ، مطالب ، ع ٢٦٣١ عن المسدد
وانظر كابتاني ٩ : ٣٨ (التعليلة الأولى) - اشهر نكر ج ٣
ص ٤٢١ - ٤٢٢ - إشيرير ص ٢١ - ٤٢ .

إلى مَرِيحَنَةَ بن رُوْبَةَ وسَرَوَاتِ أهل أيلة .

- سِلِّمُ أنتم ؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ؛ فإني لم
أكن لأَقَاتِلْكُمْ حتى أَكْتُبَ إليكم ، فأسلِّمُ أو أعطِ الجزية ، وأطع ٣
الله ورسولَه ، ورُسُلَ رسولِه ، وأكرمهم ، واكسهم كسوة
حسنة غير كسوة الغزاة (؟) ، واكس زيدا كسوة حسنة .
فمهما رضيْتُ رُسُلِي رضيْتُ ، وقد عَلِمَ الجزية . فإن أردتم أن ٦
يأمنَ البَرُّ والبحر فاطع الله ورسولَه . ويُمنع عنكم كلُّ حقٍّ
كان للعرب والعجم إلا حقَّ الله وحقَّ رسولِه . وإنك إن رددتهم
ولم تُرضهم لا آخذ منكم شيئا حتى أَقَاتِلْكُمْ فأسبي الصغيرَ وأقتل ٩
الكبير ، فإني رسولُ الله بالحق ؛ أومن بالله وكتبه ورُسُلَه ، وبالمسيح
ابن مريم أنه كلمةُ الله ، وإني أومن به أنه رسولُ الله .
وإثَّ قَبْلَ أن يمسَّكم الشرُّ ، فإني قد أوصيتُ رُسُلِي بكم . ١٢
وأعطِ حَرَملة ثلاثة أوسق شعير ؛ وإن حرملة شفع لكم . وإني
لولا الله وذلك ، لم أرسلكم شيئا حتى تَرى الجيش . وإنكم إن
أطعتم رُسُلِي ، فإنَّ الله لكم جار ومحمد ومَن يكون منه . ١٥
وإن رُسُلِي شَرَحْبِيلُ وأُبَيٌّ وحَرَملةُ وحُرَيْثُ بن زيدٍ
الطائي ، فإنهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته ، وإن لكم ذِمَّةَ الله
وذِمَّةَ محمد رسول الله . ١٨
والسلام عليكم إن أطعتم .
وجهزوا أهل مقنا إلى أرضهم .

(٣٢ - ٣٢ / ألف)

معاهدته صلى الله عليه وسلم مع أهل جرباء وأذرح

بس ج ٢/١ ص ٣٧ (ع ٧٥ ، ١) - إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٤٦٨ - ٦٩ ؛ ومرة أخرى في القسم الغير المطبوع (خطية كوبرولو) ص ١٠٤٠ - نس ج ١ ص ٢٩٧ - عمخ ع ١٤ (عن الشامي) - فريدون ج ١ ص ٣٤ - مغازي الواقدي ورقة ٢٣١ ب (صفحة المطبوع ١٠٣٢ ، وعنده نص أذرح فحسب) - الزرقاني ٣/٣٦٠ - بداية ابن كثير ج ٥ ص ١٦ - دلائل النبوة للبيهقي (خطية كوبرولو) ج ١ ، ورقة ٢٣/ب .

قابل بس ج ٢/١ ص ٣٧ - ٣٨ (ع ٧٥ ب) - شرح السيرة لإبراهيم الحلبي ورقة ١١٥ ب - بلا ص ٥٩ - كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ورقة ١٢٤ (مخطوطة باريس) - لسان العرب ، مادة «جرب» ، وقال : «بينهما مسيرة ثلاث ليال وكتب لهما النبي» - القسطلاني ٣/١٦٠ - التنبيه والأشراف للسمعودي ص ٢٧٢ وذكر نص أذرح فحسب . - النهاية لابن الأثير ، مادة جرب . وانظر مجلة تحقيقات علمية ، المقالة المذكورة في مراجع المکتوب ٢٦ - كابتاني ٩ : ٣٩ : (التعليقة الثانية) - اشهر نكر ج ٣ ص ٤٢٢ - ٤٢٤ - اشهر بر ص ٤٤ - ٤٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من محمد النبي لأهل أذرح . إنهم آمنون بأمان الله .
٣ ومحمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله
كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين
من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم آمنوا حتى يحدث
٦ إليهم محمد قبل خروجه .

ملحق رقم (٦)

معاهدته صلى الله عليه وسلم مع أهل مَقْنَا

بس ج ٢/١ ص ٢٨ (ع ٤٤) - بلا ص ٦٠ - عمخ ع ٢٥ .
 قابل بس ج ٢/١ ص ٣٨ - الخراج لقدامه ورقة ١٢٤ - إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٤٣٩ ؛ ومرة أخرى في القسم الغير المطبوع (خطية كوبرولو) ص ١٠٤٠ - مغازي الواقدي ، ص ١٠٣٢ - الحلبي ١٦٠/٣ وانظر مجلة تحقيقات علمية ، المقالة المذكورة في مراجع المكتوب ٢٦ -
 كاتباتي ٩ : ٤٠ - إشهر نكر ج ٣ ، ص ٤١٩ - ٤٢١ - إشهر بر ص ٤٥ - ٤٦ -

Wensinck, in: Der Islam, 1911, II, 286-91 — Leszynsky, Die Juden in Arabien, Berlin 1910, p. 107 ff.

[بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله] إلى بني جَنْبَةَ وإلى أهل مَقْنَا .

أما بعد : فقد نزل عليّ آيتُكم راجعين إلى قريبتكم ، فإذا جاءكم ٣
 كتابي هذا فإنكم آمنون ، لكم ذمّة الله وذمّة رسوله . وإنّ رسوله
 غافر لكم سيئاتكم وكلّ ذنوبكم ، وإنّ لكم ذمّة الله وذمّة
 رسوله ، لا ظلم عليكم ولا عدى . وإنّ رسول الله جار لكم مما ٦
 منع منه نفسه .

فإنّ لرسول الله بركم وكلّ رقيق فيكم والكراع والحلقة ،
 إلّا ما عفا عنه رسول الله ، أو رسول رسول الله . وإنّ عليكم ٩
 بعد ذلك ربيع ما أخرجت نخلكم ، وربيع ما صادت غرورككم ،
 وربيع ما اغتزل نساؤكم . وإنكم برئتم بعد من كل جزية أو سُخْرة .
 فإن سمعتم وأطعتم ، فإنّ على رسول الله أن يُكرم كريمكم ، ويعفو ١٢
 عن مُسيئكم .

أما بعد فإلى المؤمنين والمسلمين : من أطلع أهل مَقْنَا بخير فهو
 خير له ، ومن أطلعهم بشرّ فهو شرّ له . ١٥
 وإن ليس عليكم أمير إلّا من أنفسكم ، أو من أهل رسول الله .
 والسلام .

[وكتب علي بن أبو طالب في سنة تسع] . ١٨

(ملحق رقم (٧))

عنوان الجمعية
دارة الملك عبدالعزيز - ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١
المملكة العربية السعودية